

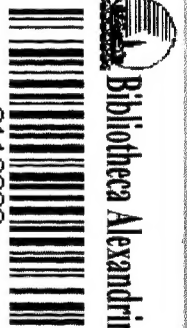
كتاب الإسلام

٦

هل نهدم

السد العالي؟

فيليب جلاب



0112022

كتاب الآمال

العدد السادس — يونيو ١٩٨٥

كتاب الآمال

كتاب غير دوري



رئيس مجلس الإدارة

خالد محيي الدين

رئيس التحرير

لطيفة واكسد

مدير التحرير

صلاح عيسى

مجلس التحرير

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
حسين عبد الرازق
د. عبد العظيم انيس
عبد الغفار شكر
عبد الهادي ناصف
د. محمد احمد خلف الله

كتاب الاهالى : يصدر عن جريدة الاهالى

حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

المراسلات : ٢٢ شارع عبد الخالق ثروت — القاهرة

كتاب الإلهام

الهيئة العامة لمكتبة الشريعة	
رقم الكتاب
رقم القسم

العدد السادس - يونيو ١٩٨٥

هل نهدم



السد العالي؟



Library of the Ministry of Education
100000

فيليب جلاب

الاعداد الفنية
سعد عبد الوهاب



ولم يخلق شيء يسمى قروب

ولم يأت شيء يسمى محب

فلا المصدق يبدو ككاذب ولا

أجد لكافييه من كذب !

عبد الله البردوني - الشاعر اليمني

فقرة

بسبب السد العالي ازدانت « ملوحة » التربة ، وازداد
« النحر » في مجرى نهر النيل ، وانخفضت نسبة « الطمي »
التي تخصب الأرض المصرية وهجر « السرين » شواطئ
دمياط ورشيد وبورسعيد !

واكتشف أحد الباحثين قبل ظهور الطبعة الأولى من هذا
الكتاب عام ١٩٧٤ أن هناك علاقة وطيدة بين السد العالي
و « تلوث » مياه الشرب في القاهرة . . . أي أن هناك علاقة بين
السد العالي وبين نقص مادة « النشيد » وغاز « الكلور »

المستخدمين في تنقية وتطهير المياه قبل ان تصل الى البيوت .
وكانت الصحف قد اشارت في ذلك الوقت الى أزمة حادة في
« الشبه » والكور .

واكتشف صاحب كازينو على النيل في القاهرة ان النهر
العظيم فقد سحره القديم ، ولم تعد مياهه الحمراء او السوداء
المحلاة بالطمي تنفع كسابق عهدها وتجرف امامها كل شيء .

لقد شاخ النهر العظيم ان لم يكن قد هلك !

ومذ انشاء السد العالي لم تتوقف « الاكتشافات » .
بيدا « الاكتشاف » كستاول او كشاعة في صحيفة امريكية او
اوربية ايا كان شكلها وسرعان ما تتلقفها بغض « سالونات »
القاهرة لتصبح كالحقبة .

واستمر مثل الاكتشافات بهذه الزمرة العالية حتى كنا
نعرف في تلك الوقت الصلة بين بناء السد العالي وبين نقص
الصلون في الاسواق ، او بين اختفاء « الطمي » ونذرة البجاج
في المصانع ، حتى يمكن ان نضع حدا للاختناقات التمييزية !

ووصلت الاكتشافات الى انزوتها عندما طالب البعض
بضرورة الاسراع في هدم السد العالي « لانقاذ » مصر من « آثاره
المسرة » قبل ان يصبح الوقت متأخرا !

لكن السخف في تلك « الاكتشافات » تجاوز حدود الهزل
الى محاولات غاية في الذباب لتشويه اعظم منجزات ثورة يوليو
وجمال عبد الناصر ، ولالحظ من افضل نماذج التعاون بين ثورة
ودولة وطنية تحلول وضع اساس متين للتحرر السياسي والاقتصادي
والاجتماعي وبين ثورة اشتراكية تقدم معونة مادية وفنية وفتما

لالتزام تبلييه العقيدة السياسية والمصلحة المشتركة في تصفية
آثار الاستعمار والتخلف .



ومشكلة اعداء السد العالي اتهم لا يضمنون خطأ فاصلا بين
ملاحظاتهم وتحفظاتهم الفنية ان وجدت ، وبين معتقداتهم
السياسية وعدائهم المرير للثورة ٢٣ يوليو ولجمال عبد الناصر
والاتحاد السوفيتي .

ومع ان هناك ما يمكن ان يؤخذ على ثورة ٢٣ يوليو وعلى
جمال عبد الناصر وعلى الاتحاد السوفيتي حتى من جانب المؤيدين
للثورة ولجمال عبد الناصر والمتعاطفين مع الاتحاد السوفيتي الا ان
اكثر الناس حريادا وموضوعية وابعدهم عن الانحياز المسبق للثورة
او دولة او زعيم يرون ان السد العالي على التحديد لا يمكن ان يكون
مجالا لمطعن فني او سياسي بالنسبة للثورة او جمال عبد الناصر
او الاتحاد السوفيتي .

لكن مشكلة الاخيرين هي ان السياسة تختلط لديهم
بالتكنولوجيا بحيث يصعب ان يبينوا هم او نتبين نحن منهم : هل
يهاجون عبد الناصر لانه بنى السد العالي او يهاجون السد
العالي لان الذي بناه هو عبد الناصر ؟

وهل من عيوب الاتحاد السوفيتي انه قدم مساعدة فعالة
لبناء السد العالي ، او من عيوب السد العالي انه بنى بمساعدة
الاتحاد السوفيتي ؟



من اللافت للنظر انه عندما كان السد العالى مشروعا تحت التنفيذ بمعونة البنك الدولى والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وغيرهم لم تثر حوله الاقاول الفنية والسياسية فى صحائف وصحف القاهرة . لقد استحق منهم يومذاك كل اكرام واعجاب !

لكن عندما نكست الولايات المتحدة الأمريكية عن تمويل المشروع (لأسباب سياسية كما اعترفت الدوائر الأمريكية بعد ذلك) بدأ الهز واللبز الذى تطور الى حملة باسم العلم والتكنولوجيا والاقتصاد والحرص على « المصالح المصرية » !

وبلغ الحرص بهؤلاء المدافعين عن « المصالح المصرية » الى حد الدفاع المستهين عن كل « سردينية » قد تضيع من شطاطة رشيد ، والى درجة « البكاء » على بعض سحر ورومانسية القيل بعد ان خضعت مياهه لنظام « ديكتاتورى » صارم .. حتى لو كان المقابل للسردين الذى فقدهناه و « الرومانسيه » التى افقدناها مئات الملايين من الجنيهات المضافة الى حسابنا سنويا من الطاقة الكهربائية للصناعة والى انارة ومن المياه الضرورية لزراعة مليون وثلاثمائة ألف فدان .. فى بلاد غالبيتها من القلاحين ، ومتوسط نصيب الفرد فيه من الأرض لا يتجاوز ١/٥ فدان ، وتمعاده يتزايد سنويا بكثير من مليون نسمة !

ليت المتعصبين « لسردين مصر » يشعرون ببعض التعصب لـ مصر نفسها !



ولعل من محاسن الصدف انه عندما كانت الطبعة الاولى من هذا الكتاب ماثلة للطبع نشرت صحف القاهرة هذه البشرى

لانتصار السريدين : « ظهرت افواج السريدين على شواطئ د
دمياط ويورسعيد امس لأول مرة منذ ٩ سنوات من بدء حجز مياه
فيضان النيل خلف السد العالي . وكانت ابحاث خبراء الثروة
المائية تؤكد ان من اسباب هجرة السريدين ، الذي تقدر قيمته
بحوالى خمسة عشر مليوناً من الجنيهات سنوياً ، هو منع مياه
الفيضان المحملة بالطمى من ان تصب في البحر الأبيض
المتوسط . »



ولذلك ففيما عدا بعض الملاحظات الفنية والعلمية التي
صدرت عن قلة نادرة ومخلصة من الخبراء المصريين لا تجد في
الحديث المعاد والمعادى للسد العالي وجمال عبد الناصر وثورة
يوليو سوى الخلط والمغالطة والدعيات السوداء .

ان كل خبراء السودان في العالم يعرفون ان هناك آثاراً
جانبية لبناء أى سد في أى مكان .

والذين درسوا مشروع السد من الخبراء المصريين والعالميين
وتحمسوا له ونفذوه يعرفون ان للسد آثاراً جانبية مثل أى مشروع
مماثل في العالم .

لكن ما يضيفه السد الى الانتاج القومي في الزراعة
والصناعة لا يمكن ان يقارن بالآثار الجانبية ، كما تؤكد الأرقام .
بل ان الآثار الجانبية للسد من ازدياد مساحة التربة او النحر
في مجرى النهر او حرمان الأرض من بعض الطمي ، أمور يمكن
علاجها بكثير من طريقة كما يقول الخبراء ، وكما تؤكد الدراسات
اننى اجراها المهندسون والمختصون في وزارة الري .

أما تكاليف علاج هذه الآثار الجانبية فلا تتجاوز بضعة ملايين من الجنيهات بالمقارنة مع مئات الملايين التي يوفرها السد العالي سواء من المياه والكهرباء والأرض المستصلحة والمحاصيل الجديدة ، أو بتجنب كوارث الفيضانات العالية والمنخفضة .



قد تكون الملاحظة المهمة الوحيدة التي لم يشر إليها خصوم السد العالي هي التساؤل المشروع لدى الكثيرين : لماذا لم تنجز الأعمال الضرورية لتجنب الآثار الجانبية للسد العالي في وقت ملائم حتى لا يتأخر عن التوقيت الذي اكتمل فيه بناء السد العالي ؟ لماذا لم ننته من مشروعات الري والصرف للحد من الملوحة ومشروعات بناء القناطر المتعددة لوقف عملية النحر في مجرى النيل ، والتوسع في مشروعات إنتاج الأسمدة لتعويض النقص في الطمي ، وغيرها من الأسئلة المتعلقة بكفاءة تشغيل السد العالي حتى لا تضيق قطرة واحدة من المياه وحتى نتجنب أية آثار جانبية ؟

ورغم أن الوقت لم يفت بعد لتدارك هذه الأمور ورغم أن ظروف مصر الاقتصادية وأعباءها العسكرية في مواجهة العدوان والاحتلال الصهيوني لعبت دورا في عرقلة الكثير من المشروعات أو الإبطاء في تنفيذها ، إلا أن مثل هذه التساؤلات كانت وستظل مشروعة تماما .

لكن أحدا من أعداء السد لم يحاول توجيهها !
ذلك أن الهدف كان محاولة هدم السد العالي وعبد الناصر وكل إيجابيات ثورة يوليو .

ان السد العالي آثاره الجانبية بالتاكيد . لكن آثاره الإيجابية تتجاوز كل السلبيات .



ورغم ذلك لم تتوقف الحملة على السد العالي والذين بنوا السد العالي والذين ساعدوا في بناء السد العالي .

كانت الصحافة المصرية قد حصلت على بعض حريتها في تناول بعض الأمور وعلى « كل حريتها » في التشهير بثورة يوليو وعبد الناصر وكل ما يبت اليهما بصلة .

ورغم ان طبعتين من هذا الكتاب أو الكتيب المتواضع لا يمكن ان تواجه سيل الأكاذيب في الصحف والمجلات عن السد العالي — الكارثة الذي يهدد مصر وشعبها بالقضاء — ، الا ان مجلة حكومية « كبرى » خصصت موضوع الفلاف ارد عصبى على الكتاب كان خطه الاساسي هو ان الذين يدافعون عن السد العالي « عملاء » يلجأون الى سلاحهم الوحيد وهو الكلمات والأفكار « المستوردة » !!

ويبدو ان الحملة المنظمة تجاوزت الحدود المقررة مما دعا الرئيس انور السادات في ذلك الوقت الى ان يعلن ردا على سؤال لأحد المراسلين بان السد العالي يعد من أعظم المتجزات الهندسية وان ما يقال عن آثاره الجانبية ليس اكتشافا جديدا ولكنه من الأمور التي يصرفها كل الفنين ويصرفون كيفية مواجهتها .

وتوقعنا بعد تصريح السادات ان يواصل جنرالات معركة

هدم السد العالى وهدم من بنوه « نضالهم » خاصة ان حرية الصحافة كانت مكفولة لهم تماما ولا ينزعهم احد فيها .

لكن لم تنض ساعات على حديث السادات حتى كان الجنرالات في طليعة المتحدثين من « عظمة » السد العالى وبراعة مصميه وعبقريه منفليه وضخامة نتائجه المعروفة وغير المعروفة !

وحتى الذين اعتادوا الا يوقعوا باسماتهم بعض ما تنشره الصحف والمجلات التى يشرفون عليها من هجوم على السد العالى حرصوا على توقيع قصائد مدح للسد العالى بعد حديث الرئيس السادات . فليس المهم فى النهاية ان يكون السد العالى نعمة او كارثة على مصر والشعب المصرى لكن المهم هو رضا الرئيس !



وكان الرئيس السادات يرحمه الله من عشاق « حرية الصحافة » بشرط ان تمارس حريتها فقط فى التشهير بخصومه السياسيين او من يرى انهم خصومه السياسيين . لكن التشهير بعدد الناصر من خلال السد العالى ادى الى التشهير باعظم منجزات مصر بصرف النظر عن نوع القيادة واسم القائد الذى تمت هذه الانجازات تحت رايته . وشعر عشرات الآلاف من المهندسين والعلماء والفنيين والمسؤولين الذين شاركوا فى ملحة بناء السد العالى ان العملة تجاوزت كل الحدود بدون اى اساس علمى او تكنولوجى فتوقفت العملة ، ولكن الى حين .



ولم تمض سوى اسابيع حتى بدأت الحملة من جديد ولكن
بأسلوب أكثر براعة ، وصل الى ذروته « بدراسة » كتبها احد
الصحفيين المصريين الذين يصفون انفسهم بالاطلاع على بواطن
الأمر . قال الصحفي المطلع ان انشاء السد العالى كان مؤامرة
دولية من طراز اجرامى لان السد نتيجة بحسابات معقدة لم
يفصح عنها الكاتب سيؤدى الى غمر الاراضى المصرية بالمياه
واغراقها مع بيوتها وسكانها . وقال سيادته انه لن تمض سنوات
كثيرة حتى نجد ان ميناء دمياط مثلا قد زحف الى قرب
القاهرة !!

وبعد ان ادان الصحفي فى المقال الذى نشره فى مجلة
حكومية مصرية المجرم الرئيسى وهو الاتحاد السوفييتى الذى بيت
النية على مساعدة مصر لكى تهلك البلاد ويختفى الشعب المصرى
من على خريطة العالم ، اراد تأكيد « حياده » بين القوى العظمى
فتساءل بنكاء : وهل كانت الولايات المتحدة الامريكية على علم
بهذه الكارثة ؟ وهل هذا هو السبب فى انها تراجعت فى اللحظة
الاخيرة عن ارتكاب جريمة افناء مصر والمصريين فقررت الفاء
اتفاقية تمويل بناء السد العالى ؟

ورد الصحفي المخلص قائلا : لو ثبت ان الولايات المتحدة
الامريكية رفضت التمويل بسبب معرفتها باجساد جريمة انشاء
السد العالى فان ذلك يؤكد ان للاستعمار الغربى نواياه الخبيثة
ايضا « وان كان يظل لحسن الحظ فاعلا فى اصى !!)

ويعتقد بعض قراء صاحبنا الصحفي انه من المحتمل ان
يكون مصفقا لما كتبه لانه وهو من اصحاب الملايين المعروفين
الآن فى الأوساط المالية يرفض نقل امواله الى مصر خشية ان تفرق
فى مياه السد العالى ويفضل دائما ان يكتب مقالاته من الخارج

ويرسل بها إلينا التزاما بواجب قومي وأخلاقي ودون أن يعرض نفسه لمخاطر الفيضان المتوقع بين لحظة وأخرى !!

ولكن فجأة وبعد عدة شهور توقفت الحملة على السد العالي تماما ، واختفى كل اعداء السد من على صفحات الصحف المصرية أو تحولوا الى اصقاع له .

كان وزير الري ونائب رئيس الوزراء الأسبق الدكتور عبد العظيم أبو العطا قد رد على الحملات المعادية للسد عام ١٩٧٥ باستنيد علمية وتكنولوجية وبرقام وشواهد عملية ولم يلتفت إليه أحد . وكان قد ذكر بالحرف الواحد أن فيضانات النهر منذ عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٧٢ كانت منخفضة عن معدلها الطبيعي . غيضان ١٩٦٥ كان منخفضا بمقدار ١٢ مليار متر مكعب عن متوسط الفيضانات خلال تسعين عاما . وتبعه فيضان عام ١٩٦٦ الذي كان أكثر انخفاضا عن المتوسط بمقدار ٢٠٣ مليار متر مكعب . ثم جاء فيضان عام ١٩٦٨ بأقل من السد الفيضانات انخفاضا منذ عرفت ارساد النيل العليا وهو فيضان عام ١٩١٣ .

وعلى امتداد تلك الأعوام — قال عبد العظيم أبو العطا — وحتى عام ١٩٧١ كان السد العالي هو درع الأمان لنا ، ولولا وجوده في تلك السنوات الشحيحة الإيراد لتعذر ملء الحياض التي لم يكن تم تحويلها بعد وتعرضت التنمية الزراعية لهزات عنيفة .

وجاء فيضان عام ١٩٧٢ شحيحا جدا في إيراده قريب التشبه أيضا بفيضان عام ١٩١٣ ، حيث بلغ إيراد النهر عند أسوان في ذلك العام ٥٢٧ مليار متر مكعب . ولولا وجود السد

العالى لكان عام ١٩٧٢ هو عام القحط والمجاعة . ولكن بفضل مخزون المياه امام السد لم يشعر أبناء هذا الوطن بمخاطر قحط مروع ككاد ان يعصف بنا في ذلك العام .

ولم يثر حديث اكبر مسئول عن الرى والمياه في مصر في ذلك الوقت اقل اهتمام من جانب المطالبين بهدم السد العالى . فلم يكن احد قد رأى او سمع شيئا بعد عن مجاعة بسبب نقص المياه او الفيضان المخفض . ولم يشعر غالبية الناس بالمعنى الحقيقى لكلمات عبد العظيم ابو العطا عن « القحط المروع » الذى اتقننا منه السد العالى . وربما اضافوها في الغالب الى عشرات التصريحات الرسمية للسادة الوزراء عن امور ذات اهمية وامور غير ذات اهمية !

وظل كل شيء كما كان : الهجوم على السد الذى اصبح من لوازم بعض الكتاب حتى بدون مناسبة ، والدفاع عنه على استحياء اذا لم يمانع بعض المشرفين على اجهزة الاعلام !

واذ بالعالم خارج مصر يتحدث عن كوارث مجاعة وجفاف مروعة تصيب سبعة دول افريقية وتهدد اكثر من ٢٠ دولة من بينها الدول التى ينبع منها نهر النيل .

اُصبح الموضوع الاول في صحافة العالم وفي اذاعاته المسموعة والمرئية هو كارثة الجفاف التى اجت الى مجاعة اهلكت كل شيء حى ، ويروح شحيتها آلاف من البشر يوميا رغم حملات الاغاثة العالمية .

ومن خلال المساة الافريقية المروعة بدأت صحفنا تتحدث بتوسع واهجاب بل وتفاخر احيانا عن السد العالى الذى انقذ مصر من كارثة المجاعة .

ولاحظ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ان صحفنا عبرت
عن اعجابها الشديد بالسد العالى وشكرنا الميق له كانه قد
بنى نفسه بنفسه !

واذا كان السد العالى « كارثة » قومية فان المسئول عن
هذه « الجريمة » هو جمال عبد الناصر . اما اذا ثبت ان السد
العالى هو المنقذ من الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية فان الفضل
في ذلك يعود الى الحجارة والصخور وليس الى عشرات الالوف
من العاملين ، او للرجل الذى اصر على ان هذا هو السبيل
لانتقاذ مصر من المجاعة !

وكانت الظاهرة التى لا تقل غرابة هى الصمت المفاجيء
لجميع فرسان هدم السد العالى رغم ما يتمتعون به من حريات
كاملة للكتابة والتعبير !

كما نتوقع مثلا ، ماداموا قد هاجموا السد ، بدعوى
الاسباب العلمية والتكنولوجية ويزعم انه سيؤدى بهصر الى كارثة
لا مثل لها ، ان يتمسكوا بوجهة نظرهم وان يقولوا مثلا اذا كان
السد العالى انقذ مصر من كارثة مجاعة مؤقتة فانه يحمل رغم
ذلك كارثة لمصر اشمل وافدح في المستقبل القريب او البعيد .

لكن صمتهم التام كان مفاجئا وكان اكثر بلاغة من كل ما سبق
ان قالوه وكتبوه على مر السنين !



وبدأت مرحلة جديدة هى « رد اعتبار » السد العالى او
كما قال احمد بهاء الدين في يومياته ان « آخر نكتة يتداولها رجل

الشارع في القاهرة هي ان مصر اعادت علاقاتها الدبلوماسية مع
الأردن ومع السد العالي !

-وقد عادت العلاقات بالصدفة في التاسع من يناير ١٩٨٥
وهو عيد مرور ٢٥ عاما على بدء انشاء السد العالي .

وسبب الفكرة كما يقول احمد بهاء الدين هو ان السد
العالي ، رغم اعتراف العالم كله به كأكبر الانجازات
الهندسية في هذا العصر ، الا ان الحملة على ثورة ٢٣ يوليو وعلى
جمال عبد الناصر منذ هبت رياحها على مصر لم تنس السد العالي
بوصفه احد اهم انجازات تلك المرحلة . اما الذي اعاد العلاقات
(الدبلوماسية) بين مصر والسد العالي كما تقول التكتة المتداولة
فهو موجة الجفاف الرهيب في اثيوبيا والسودان (اى في منابع
النيل) وانتشار الجاعة . ورغم ان هذه ليست اول مرة يحمى
فيها السد العالي مصر من هبوط منسوب المياه الا انها ربما كانت
أشد حالة مرت بها القارة ومنطقة نهر النيل كلها .

اما المهندس عصام راضى وزير الري فيحمد الله في حديث
لجريدة السياسة الكويتية لأن السد العالي انشئ قبل الفترة التي
نعيشها الآن والا لحدث لنا ما سبق ان حدث لمصر عام ٤٦١
هجريه ثم عام ١٩١٣ ميلادية عندما انخفض منسوب مياه الفيضان
الى نفس المستوى الذى انخفض به في السنوات الستة الأخيرة
وما قبلها .

في ذلك الوقت كما يقول وزير الري وصل الجفاف بالناس
الى اكل الميتة والكلاب حتى وصل ثمن الكلب بأسعار تلك الأيام
الى ٥ دنانير ووصل ثمن اربع القمح الى مائة دينار !

لكن بفضل السد العالى مئسنا على مخزون المياه لمدة سنة
اعوام عجاف ولم نعرف حتى انها عجاف الا بعد قراءة انباء
المجاعة فى دول افريقية ينبع منها نهر النيل نفسه !

وقد حفلت صحافتنا ومآزالت تحفل الآن بالذين يكتبون
دفاعا عن السد العالى ومن بينهم رجال ساهموا فى بنائه بل
ونذروا انفسهم فى عهد عبد الناصر لانجاز المشروع ثم تعرضوا
بعد وفاة عبد الناصر لحملات تشهير منظمة اقلها انهم ساهموا فى
تنفيذ جريمة تهدد الشعب المصرى بالفناء !

والمؤسف ان الفرصة لم تتح لهم للدفاع عن انفسهم الا
عندما اكتشفت صحفنا ان اشقايقا فى افريقيا يموتون بالآلاف
والآلاف لان ليس لديهم سد كسد اسوان العالى .

وقد تذكرت صحيفة « الجمهورية » مشكورة احد هؤلاء
الرجال الذى يعد من أبرز بناء السد العالى وهو المهندس صدقى
سليمان الذى لم يكن لديه مطلب سوى ان « يفهم الجيل الحالى
ان السد العالى عمل رائع فى كل اتجاه ، وانه كان حلم عبد الناصر
وان ابطاله خاضوا معركة على كل المستويات وانتصروا فيها ..
ويؤمل ان ينسى الناس هذا الجهد او ان يسرق بعض الناس
جهدهم » .

والحقيقة ، حتى بعيدا عن حسابات الأرقام التى لا يمكن
تكنيها او الالتفاف حولها فان السد العالى ليس مجرد « اضمخ
مشروع منفرد » فى عصرنا .. وليس مجرد نموذج لعلاقات متكافئة
ومعونة اقتصادية ونفعية من دولة اشتراكية الى دولة وطنية
مستقلة ، وليس مجرد ريز لتجارب او صداقة مصرية سوفيتية ..
ولكنه ميدان معركة او ملحمة سياسية اقتصادية اجتماعية

عسكرية انتصرت فيها ارادة الشعب المصرى بمعونة الاتحاد
السوفييتى ، وكسرت فيها الحلقة المفرغة المحكمة طوال قرون
حول انطلاقه الشعب المصرية لبناء حياة مستقلة وجديدة .

ومن هنا تستحق قصته ان تروى ابتداء من العالم العربى
ابن الهيثم الذى استدعاه الحاكم بامر الله من العراق لهذا
الغرض وحتى عشرات المهندسين والعلماء والفنيين المصريين
الذين وضعوا الفكرة موضع التنفيذ فى عهد عبد الناصر .

كان ابن الهيثم كما يقول الدكتور عبد العظيم اتيس هو اول
من اشار الى فكرة تخزين مياه النيل عند اسوان للانتفاع بها فى
فصول الجفاف منذ نحو الف عام .

ونقل عن ابن الهيثم انه قال : لو كنت بمصر لعملت فى
نيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص
فقد بلغنى انه ينحدر من مكان عال وهو فى طرف الاقليم
المصرى .

وعندما استدعاه الحاكم بامر الله لهذا الغرض سار ومعه
جماعة من الصناع المتولين العمارة بأيديهم يتتبع مجرى النيل من
القاهرة الى جنوب اسوان حتى « الجنادل » . لكن ابن الهيثم
لم يجد المكان كما بلغه عنه من قبل موصفا عاليا ينحدر منه النيل .
فعالينه واختبره من جوانبه وفكر وقد علم يجد الامر متفقاً مع
الفكرة الهندسية التى خطرت له فعاد الى القاهرة خجلاً واعتذر
للحاكم . «

اما بعد الف عام من ابن الهيثم فقد تغير الوضع . ولذلك
قصة تستحق ان تروى .

خطو فو
وغير النظام

ليس التفرغ في ذاته شيئا الا
جهد الناس للوصول الى اهدافهم .
« فيلسوف »

خوفو .. وعبد الناصر

(تتول اغنية مصرية معروفة ان عبدالناصر بنى «الهرم الرابع» .
ويقول كينيت لوف المؤرخ والكتّاب الأمريكى ان عبد الناصر
استطاع ان يبنى السد العالى الذى يزيد عن حجم الهرم الاكبر
سبعة عشر مرة ، وان احدا لن يذكر فى المستقبل من بين كل
الاحداث التى ارتبطت ببناء السد (بما فى ذلك حرب السويس)
شيئا سوى السد العالى وعبد الناصر والسوفييت ، كما ان احدا
لا يذكر من سياسات عهد خوفو سوى بناء الهرم الاكبر !

ورغم ان المقارنة بين الهرم الاكبر والسد العالى تظلم السد
العالى كثيرا والمقارنة بين خوفو وعبد الناصر اشد اجسادنا
بعبد الناصر ، الا ان ضخامة وروعة وشموخ الهرم الاكبر على
من التاريخ وكأحد أهم المنجزات الهندسية تدفع المقارنة دفعا

في هذا الاتجاه ، سواء في تلقائية الألفية المصرية أو في دراسة المؤرخ الأمريكي .

ومع ذلك يظل الهرم كمعجزة هندسية قبرا للملك ، ويظل السد العالي كمعجزة هندسية . «مصدر حياة للملايين الأرواح الحية» . وتثور الأناويل عن الطريقة التي بنى بها خوفو ورجاله الهرم الأكبر وهي « السخرة » وفقا لمقاييس ذلك العهد ، لكن أحداث التاريخ المعاصر تؤكد كيف كانت طريقة بناء السد العالي نموذجا يحتذى لابقاظ ولتعبئة كل طاقات البناء والإبداع والخبرة لدى مختلف فئات شعبنا من عمالة وفنيين ومهندسين واداريين ، واكتساب أرقى الأساليب التكنولوجية .

... والمقارنة لا تنتهى . وليس هنا مجال دراسة مقارنة لانجاز مصرى قديم وآخر معاصر . لأن الأهم من هذا كله أن بناء السد العالي وما صاحبه من تحد ومواجهة وانتصار ، يمثل نموذجا مجسما لبناء مصر الوطنية المستقلة في مواجهة إمبراطوريات قديمة وجديدة ، سعت ولا تزال تسعى للحيلولة دون قيام مصر الوطنية المستقلة في هذا الجزء من العالم ، واستخدمت في سعيها المتواصل كل أسلحتها ابتداء من الدبلوماسية والاقتصاد وانتهاء بالقوة المسلح .

أن بناء السد العالي بتعبئة الشعب المصرى وبمعونة مخرصة وغير مشروطة من الاتحاد السوفيتى كان بداية الطريق الحقيقى للوصول الى صياغة مصرية تحقق أهداف الثورة المصرية الوطنية في كل مجالات عملها . أنها تتويج لمحاولات وثورات وطنية لم يسعدها الحظ في أن تنقزع لمصر حقها الطبيعي في بناء حياتها المستقلة . وكان عبد الناصر قد استوعب أعظم أحلام ومنجزات عرابى ومصطفى كمال ومحمد فريد وسعد زغلول كما استخلص بعض دروس هزائمهم التى لا تنسى .



ومن هنا تستحق « ملحة السد » أن تروى لا كمجرد إنجاز
اقتصادي وهندسي غير مألوف ، ولكن كأول وأبرز معالم الطريق
الطويل الشاق لبناء اقتصاد وطني مستقل . وهو الأساس
المتين لتحقيق أهم أهداف الثورة الوطنية والاجتماعية ضد كل
أعدائها .



لم يخترع هيرودت في القرن الخامس قبل الميلاد عبارته
الشهيرة « مصر هبة النيل » . كانت مجرد ملاحظة لمؤرخ ذكر .
تبدون النهر العظيم لم تكن لتنشأ على الضفتين أمة في فجر
الحضارة المبكر . وبسبب النهر والتزاع بين الفلاحين على مياه
النرى قامت سلطة مركزية تبنى وتحمى منشآت الري وتشرف
بنفوذها على توزيع المياه وفض المنازعات حولها . ومن أجل
ضرورة التكهن بموعد وصول الفيضان سنويا ابتكر المصريون
القديماء التقويم الشمسي الذي قسموا فيه العام الى ٣٦٥ يوما
وطوروا مبادئ الفلك . وتداعت الاختراعات وفقا للحاجات
الملحة لشعب مصر . فقياس مستويات النهر المختلفة أوصلت
المصريين الى اختراع الرياضيات . والحاجة الى الاحتفاظ بسجلات
النهر حثمت تطوير الكتابة .

أما الحاجة الى وحدة الوادى التى تميزت بها سياسة مصر الى
يومنا هذا فهى التى أدت الى قيام أول حكومة اتحادية تضم
الملكين نوح و الجيهن ، القليل والبخير ، من ان و الجيهن ، القليل
٢٤٠٠ ق.م . ، وكان نهر النيل هو الرابطة .

لكنهم هم في مصر بمعزل عن النيل . وهو كل حياة مصر ،
وما لا يصل اليه يظل صحراء مجذبة . وليس هناك شعب آخر

في التاريخ يعتمد كلية على مصدر واحد كما يعتمد الشعب
المصرى على النيل .

لكن من بين ٢٨٦ر٠٠٠ ميل مربع هى مساحة مصر ، لا تتجاوز
المناطق الخضراء والمأهولة أكثر من ١٥ر٠٠٠ ميل مربع ، وعلى
هذه المساحة المحدودة عاش سبعة ملايين من السكان في
سبعينيات القرن التاسع عشر (١٨٧٠) ، وكان يعيش عليها ٢١
مليون عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو . وكان ولا يزال من المقرر وفقا
للدراسات الاحصائية أن يصل العدد الى ٤٠ مليون نسمة
بعد عام ١٩٨٠ . أن نسبة كثافة السكان في وادى النيل هى
أعلى نسبة في العالم حيث تبلغ ما بين ٦٠٠ — الى ٨٠٠ نسمة في
الكيلو متر المربع . ولذلك فإن نصيب الفرد من السكان من
الأراضى المزروعة هو بأقل من نصيب في العالم .

ورغم الحاجة الى كل قطرة من مياه النيل لمواجهة زحف
الصحراء والتوسع في انتاج الغذاء لهذه الملايين ، الا أن نظام تنطق
المياه في نهر النيل كان يؤدي الى ضياع حوالى ٦٠٪ من حجم المياه
سنويا مع ما يسببه اندفاع مياه الفيضان في بعض السنين من
كوارث للسكان والبيوت والمحاصيل .

ولقد كانت مشكلة الري والكفاح ضد فيضان النيل شغل
مصر الشاغل منذ فجر التاريخ . ويقال أن سدا عملاقا شيد على
يسار النهر لحماية المنطقة الغربية في عهد ميتا (٣٠٠٠ ق.م) ،
كما أقام حكام الاسرة الثانية عشر سدا على يمين النهر ، حيث
استخدموا بحيرة قارون لتخزين مياه الفيضان والاستعانة بها
في مواسم الجفاف .

وقد ظل نظام الري بواسطة الأحواض سائدا حتى بداية
القرن التاسع عشر ، عندما شيدت القنوات الكبيرة (الرياحات)

ثم تبعها بعد ذلك انشاء القناطر على فروع النيل المختلفة منذ عام ١٨٦١ حتى عام ١٩٥٥ .

لكن هذه السدود او القناطر لم تكن تتجاوز في الارتفاع ما بين ٢-٤ أمتار ولم تكن جزءا من خطة شاملة طويلة الامد لتنظيم مياه النهر ، وتوفير أفضل استخدام لها . ورغم ذلك فان بناء هذه القناطر استغرق ٦٥ عاما . كما ان تلبية خزان أسوان القديم بعد الانتهاء من بنائه عام ١٩٠٢ تمت على مرحلتين حتى عام ١٩٣٤ .

ورغم ان خزان أسوان يعد انجازا هائلا في ذلك العهد الا انه اقيم بشكل خاص لخدمة كبار ملاك الارض الاغنياء ، وبهدف خدمة محصول القطن الذي يغذى مصانع لانكشاير البريطانية .



تجاوزت حاجات مصر طاقات الخزان القديم . فهو كما اعترف مهندسوه البريطانيون قاصر عن استيعاب أكثر من مخزون عام واحد من المياه ، مما يجعل كل ثروة مصر من المحاصيل الزراعية تحت رحمة حجم الفيضان المتقلب من عام لآخر ، فضلا عن الحاجة الملحة التي بدأت تواجه مصر للتوسع الزراعي والخروج من مأزق تزايد السكان وثبات مساحة الارض .

كانت هناك وسيلتان : الاولى هي بناء مجموعة من السدود على طول نهر النيل تتركز على بحيرة فيكتوريا كخزان للتحكم ، والاخرى كانت فكرة انشاء السد العالي داخل الاراضي المصرية .

وهي فكرة مصرية في الأساس وضع خطوطها الاولى اديان دانييوس (مهندس مصري من اصل يوناني) . قدم دانييوس

مشروعه وتبنته حكومة الثورة خلال بضعة شهور من الدراسة .
كان الاختيار الاول مرفوضا منذ البداية فلم يكن أحد على استعداد
لأن يقبل اخضاع ميلاه النهر ، وحياء مصر كلها بالتالى ، لنظام
يسيطر عليه الانجليز عند بحيرة فيكتوريا . وكان سير وليم
ويلكوكس المهندس البريطانى الذى بنى الخزان القديم قال مرة
أن بحيرة فيكتوريا هى مفتاح مصر وأن من يسيطر على البحيرة
يمسك بمصائر مصر فى قبضته . وعلى العكس من ذلك تماما
سيؤدى مشروع السد العالى الى عدم جدوى أى اجراء معاد ،
كالذى اشار اليه ويلكوكس وطالب به نائب فى مجلس العموم
البريطانى عام ١٩٥٦ ، عندما كانت بحيرة فيكتوريا لا تزال
تحت سيطرة البريطانيين .

كان السد العالى هو المشروع الحيوى الوحيد الذى يمكن أن
يساهم فى توفير الغذاء لمصر الى أن تتمكن من تصنيع اقتصادها
متوفر بذلك الضمان الحقيقى للاكتفاء الذاتى فالرخاء .

وبعد دراسة لمدة عامين قدمت شركة هوشنغ ودور تيمز
الالمانية الغربية مشروعا لبناء السد يمكنه أن يخزن ١٣٠ الف
مليون متر مكعب من المياه مما يتجاوز طاقة الخزان القديم بستة
وعشرين مرة . وقدرت تكاليف انشاء السد والمشروعات
التمهيدية والتكاملية من رى واستصلاح الاراضى وتعويض
سكان النوبة وغيرها بحوالى ٤١٥ مليون جنيه استرلينى .
وقدرت المعونة الخارجية اللازمة لمصر بحوالى ثلث هذا المبلغ على
شكل مهمات ومعونة فنية . كان المشروع رغم تكاليفه مربحا على
أى مستوى . اذ قدر العائد السنوى للرى والمسالحة والكهرباء
بحوالى ٢٥٥ مليون جنيه استرلينى سنويا ، أى أن كل التكاليف
يمكن تغطيتها خلال أقل من عامين . وذلك بخلاف عمليات
التصنيع التى ترتبط بالسد بعد انشاؤه .



في نفس الشهر الذي وقع فيه عبد الناصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا اكملت شركة هوشيف مشروعها ، الذي دعمته أيضا بموافقة مجموعة معروفة من الخبراء الامريكيين والاوربيين . وبدأ البنك الدولي دراسة ما أسماه بقدرة مصر الاقتصادية على تحمل تكاليف المشروع ومدى الفوائد التي يحققها بعد اتمامه .

أما مصر فلكي تؤكد جدية قرارها لتنفيذ المشروع ، اعتمدت في يونيو عام ١٩٥٥ مبلغ ٨ مليون دولار للقيام بالأعمال التمهيدية . وبدأ بناء الطرق وخطوط السكك الحديدية ومساكن العاملين في المنطقة المحددة لبناء السد .

وفي أغسطس من نفس العام أصدر البنك الدولي تقريراً مبدئياً لصالح الاقتصاد المصري وقدرته على تنفيذ المشروع مما دفع العمل التمهيدي خطوات أبعد . وبدأ أن كل الأمور الخاصة بالمعونة الخارجية قد سويت وأنه ليست هناك صعوبة في الحصول على القروض الأجنبية والمعونة الفنية كما أعلن وزير الانتاج القومي في ذلك الوقت .

وبالفعل حددت العلامات البيضاء على الضفاف الصخرية للنهر الموقع النهائي للسد . . وأعلنت الشركات الألمانية الغربية والفرنسية والبريطانية عن تشكيل كونسورتيوم في سبتمبر سنة ١٩٥٥ للتقدم بعروض مشتركة لتنفيذ المشروع .

وبدا كما لو أن هناك خطأ ما في التعبير أو التحليل ، ذلك أن كل المشروعات الاقتصادية الكبرى والتي تفر وجه المجتمع أن تنقله الى مرحلة التصنيع لا تحظى أبدا بموافقة الرأسمالية الغربية ولا تستثمر حماسها . وقد كان جوهر الصراع بين مصر كدولة شبيهة مستعمرة وبين الرأسمالية الأوروبية والأمريكية

هو أن تظل مصر مزرعة ومصدرا للمواد الخام وسوقا للاستهلاك
أو مجالا حيويا للشركات الصناعية الأجنبية . وكانت
اليورجوازية المصرية تنتزع بمعارك طويلة ومريرة بعض الفئات
من انياب الرأسمالية الغزبية لتواجه بعدئذ منافسة قاتلة داخل
السوق المصرى نفسه .

وقد فشلت في مصر كل المحاولات لاقامة محطة لتوليد
الكهرباء في أسوان لتطوير صناعات الغزل والنسيج والأسمدة
منذ عام ١٩١٢ ، رغم أن مصر لا تنتج أى أنواع الطاقة ورغم
أن خزان أسوان القديم يعد موردا هاما (ومعطلا) لانتاج الكهرباء
بارخص الأثمان .

وحتى عندما حصلت مصر على شيء من الاستقلال عام ١٩٣٧
نام مشروع كهربية الخزان ببيعاز من القوى التى كانت تملك
مصائر مصر في ذلك الوقت . ولم ينفذ المشروع الا بعد قيام
الثورة . ولذلك فقد بدا من الغريب للوهلة الأولى أن يتحمس
الغرب لمشروع في ضخامة السد العالى بها له من ابعاد اقتصادية
 واجتماعية خطيرة كاول خطوة أساسية نحو مصر المستقلة
اقتصاديا وسياسيا على الطريق الوحيد الصحيح . فقد كانت
الخطة أن تظل مصر بلا منالمة وبلا جيش أيضا . ولذلك فقد
كان من بين أبرز أهداف الثورة تصنيع البلاد واقامة جيش
وطني قوى .

ومنذ بدايات الثورة أكدت الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة
بها لا بدع مجالا للشك أن المهمة الأولى هى تسليح وتنظيم جيش
وطني ، والا فان كل ما يمكن أن تبنيه مصر للتنمية من مصانع
ومدارس ومستشفيات يظل نهبا للاسرائيليين وقحت رحمتهم كما
قال عبد الناصر لشواين لاي عندما فاتحه في صفقة الأسلحة
السوفيتية .

وبعد ما يقرب من ثلاثة أعوام من محاولات الحصول على السلاح من الغرب وبعد الوعود المتكررة والبعثات المسافرة والعائدة ، لم يعد هناك شك لدى عبد الناصر وقيادة الثورة في أن الغرب يرفض تسليح مصر إذا لم ترضخ لشروطه وتنضوى تحت حلف من الاحلاف وتنفذ الدور المرسوم لها في إطار استراتيجية امريكية مالية ، وتلك قصة أخرى .

وفي نهاية سبتمبر ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر عن صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتى كبديل وحيد لتسليح الجيش المصرى .

أحدثت الصفقة دويما هائلا في الغرب ، أو نوما من الغضب الذى أعقب الصدمة الأولى كما قيل يومئذ . لكن بعض العقلاء في الغرب أدركوا أن أى رد فعل عصبي معاد لمصر سيدفع بالتعاون المصرى السوفيتى الى آفاق أبعد ، مما قد يعرقل أحلام ومشاريع الغرب في المنطقة ، خاصة وأن عبد الناصر وضع خطته لبناء السد بالمشاركة مع الغرب والهيئات الدولية قبل علمين من توقيع صفقة الأسلحة من ناحية ، ولن كل محاولة لشراء السلاح من الغرب انتهت الى لا شئ من ناحية أخرى .

ويبدو أن الأمر لم يكن قد حسم نهائيا بعد في جبهة الغرب ، أو أنه كان جزءا من مناورة الخديعة تمهيدا لمناجاة عبد الناصر « بضربة قاضية » . فقد اعلنت وزارة الخارجية الامريكية في الثامن من أكتوبر عام ١٩٥٥ أن الولايات المتحدة مستعدة لمعونة مصر في بناء السد العالي . وبعد أكثر من شهرين استأنف الدكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية يومئذ واجتمع في واشنطن بمسؤولى المسئولى البنك الدولى حيث انضم اليهم ممثلون عن الولايات المتحدة وبريطانيا . وانتهى الاجتماع بتقديم عرض

أمريكي ٥٠ بريطاني مشترك أعلن في السادس من ديسمبر ،
وقيته ٧٠ مليون دولار للمرحلة الأولى من بناء السد العالي ،
وتقدم الولايات المتحدة الجزء الأكبر وهو ٥٦ مليون دولار ،
وتقدم بريطانيا بقية المبلغ بالامراج من جزء من الارصدة
الاسترلينية المصرية المجهدة في بريطانيا .

وتقرر أن يساهم البنك الدولي بقرض يبلغ ٢٠٠ مليون
دولار ، وأن تنتهى المرحلة الأولى لبناء السد بعد خمسة أعوام .
وأن تزيد الولايات المتحدة وبريطانيا معونتهما في المرحلة الثانية
التي تستغرق عشرة أعوام الى ١٠٠ مليون دولار ، بحيث يصبح
التمويل الخارجى في النهاية مناصفة بين البنك الدولي من جانب
وبين الولايات المتحدة وبريطانيا من جانب آخر .

وبعد بضعة شهور من هذا الاتفاق الواضح والمحدد أعلنت
الولايات المتحدة الأمريكية على لسان وزير خارجيتها « الشهر »
جون فوستر دالاس نجاة سحب عرضها للمعونة في بناء السد
العالي . وكان ذلك يكثر الطرق مجافاة للتقاليد والعرف
الدبلوماسى وبصورة لم يسبق لها مثيل في العلاقات الدولية
فيها عدا حالة الحرب !

۱۰۰۰ و ۱۰۰۰

« انني امل ان الامريكيين شعب
مخيف اذا تصالحت معه ، انهم
يقدمون وعدا قاطعة وبينوتك بالاحلام
وعندما تتورط يتخلون منك » .

سيروتالد ليندساي ستر بريطانيا
في واشنطن عام ١٩٣٢ .

الوعد والتكوص

الذين يعرفون طبيعة السياسة الامريكية التى كان دالاس مع الاتحاد السوفيتى ، أصبح هوغر أحد المسئولين الاساسيين العلاقات بين الولايات المتحدة والثورة المصرية ، بعدما يقرب من ثلاثة اعوام من المناورات والخديعة ومحاولات الاحتواء بكل السبل . كانت كل حسابات دالاس انه يتعامل فى مصر مع « انقلاب لائينى » ، وأن هذه هى الفرصة الذهبية التى سمنحت للولايات المتحدة الامريكية « لتنظيم » المنطقة كلها بشكل نهائى حتى تكتمل سلسلة حصار المعسكر الاشتراكى وحركة التحرر الوطنى . كان يقف بكلنا قدميه وبكل قلبه فى اسرائيل ويتطلع بطرف عينه الى مصر . كان دالاس طموحا ، كما قال كاتب ومحقق امريكى حاول تتبع اسرار واسباب موقف الولايات المتحدة ، فمصر عقبة كبرى فى هذه المنطقة او ربما اهم عقبة تواجه استراتيجية الولايات المتحدة ، وبدلا من ان تظل اسرائيل وكبلا غير شرمى وغير مقنع للراسمالية العالمية فى المنطقة فهاذا لو

أصبحت إسرائيل ومصر عضوان في جسد واحد ، فيصبح دالاس في نظر البعض « صانعاً للسلام » استطاع ببراعة غير مسبوقة أن يفتزع فتيل أشد القتال فتكا دون خسائر . وستستقط في يد الولايات المتحدة حركة التحرر الوطني بكل أجنحتها كثرة ناضجة . وتحل جميع مشاكل شعوب المنطقة بالقضاء على الشعوب والمشاكل . ومن أجل هذا كله لوح دالاس وحلفائه ببعض عشرات من ملايين الدولارات . كان دالاس « طموحاً » أكثر من اللازم !

تبدأ القصة بفكرة سيطرت على دالاس (الذي عرف عنه الانجذاب للأفكار وهمية كثيرة) بأنه من الممكن أن يصبح « صانع السلام » في الأراضي المقدسة باللفهوم الأمريكي أو الصهيوني .

واستغل دالاس ومساعدوه حاجة مصر الماسة لبناء السد العالي بسبب أوضاع مصر الاقتصادية « للمقايسة » على استقلال مصر . . ونشأت الفكرة في البداية لدى هريرت هوفر أحد مساعدي دالاس . كان هوفر أحد الذين تولوا تسوية « الأوضاع البترولية » في إيران بعد النجاح الذي أحرزه انقلاب المخابرات الأمريكية ضد مصدق . وبسبب « خبراته » هذه وجد فيه دالاس الشخص المناسب للقيام بمهام مماثلة في الشرق الأوسط . وعندما قرر دالاس ضرورة اتخاذ موقف أمريكي « إيجابي » في الشرق الأوسط بمد صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي ، أصبح هوفر أحد المسؤولين الأساسيين من هذه الأمور في « الدوائر الضيقة » المحيطة بوزير الخارجية الأمريكي .

لقد عملت الولايات المتحدة دون هوادة ضد الوحدة العربية،

سواء لمنع أى تهديد للمصالح البترولية الأمريكية أو لإسرائيل وشجعت دائما قيام مناسبات بين الزعماء العرب للحيلولة دون قيام أى زعيم عربى يتحدث باسم العرب جميعا ، وخاصة بالنسبة للرئيس عبد الناصر . لكن هوفر كان راغبا فى تغيير الموقف الأمريكى التقليدى جزئيا . وذلك بأن يبلغ عبد الناصر أن الولايات المتحدة مستعدة أن تعترف به زعيما للعرب فى هذه المسألة بالتحديد (وليس غيرها) وهى توقيع صلح مع إسرائيل بالشروط الأمريكية ، وفى مقابل هذا الاعتراف الأمريكى « بزعامة » عبد الناصر فإن الولايات المتحدة ستقدم إليه المعونة لبناء السد العالى حتى « تدعم موقفه » ليكون فى وضع يسمح له بتوقيع صلح مع إسرائيل ! لكن حتى فى هذه الحدود التى لم تتخل فيها الولايات المتحدة عن أى عنصر أساسى من عناصر سياستها المعروفة فى الشرق الأوسط ، لم يحظ مشروع دالاس وهوفر بموافقة الدوائر الصهيونية التقليدية وكبار منجى القطن الأمريكى . كانت للطرفين مصلحة مشتركة فى ألا تبنى مصر السد العالى وتطور زراعتها وصناعاتها فى المستقبل وكل ما يترتب على تطوير الزراعة والصناعة فى بلد مستقل ، يعد أحد المفاتيح الرئيسية لأى سياسة فى الشرق الأوسط .

كان المتحمس الوحيد فى الغرب لأسباب فنية لبناء السد ، دون دراية بها يجرى فى دهايز السياسة ، هو يوجين بلاك رئيس البنك الدولى . وقد بدأ اهتمام بلاك بالسد العالى منذ زيارته لمصر عام ١٩٥٣ وإطلاقه على الخطوط الأولى للمشروع . ويومها أبلغ بلاك لدى موصلته الى واشنطن الرئيس أيزنهاور أن السد العالى أضخم من أن يقوم به البنك الدولى بمفرده ، وأنه سيطلب عند الانتهاء من وضع خطة المشروع مساعدة الولايات المتحدة للبنك الدولى فى هذا الشأن .

وظل يلاك على اتصال وثيق بالدراسات الفنية ، كما أصدر تقرير البنك الدولي عن وضع مصر الاقتصادي عندما أنهيت الدراسات الفنية لمشروع السد في أكتوبر ١٩٥٤ . وهو التقرير الذي يعترف بأن أوضاع مصر الاقتصادية طيبة وتسمح بقيام المشروع ، وأن المشروع سليم تماما من الناحية الاقتصادية .

ولم يكن هناك من أثر لصفقة الأسلحة السوفيتية كما اعترف بلاك بعدئذ إلا أن تشجع تلك الصفقة بريطانيا والولايات المتحدة على السير قدما في مساعدة مصر على بناء اسد' العالي . ونفى بلاك كل ما أثير من مزاعم من أثر صفقة الأسلحة على درجة تحمل الاقتصاد المصري لتفقات بناء السد العالي .

ولذلك فبعد شهر تقريبا من الاعلان عن صفقة الأسلحة بعث البنك الدولي بفريق من خبراءه ومهندسيه الى القاهرة للمساعدة في وضع التفاصيل الفنية والاقتصادية المتعلقة بالاتفاقية النهائية بين الدول الغربية والبنك الدولي . في هذه المرحلة بالتحديد تخيل هربرت هولر ان الوقت ملائم تماما لتنفيذ « المقايضة » ووافق دالاس على التوقيت .

لم يكن عبد الناصر يعرف شيئا في البداية عن هذه الخطط ، لكنه كان يعتقد ان الاهتمام ببناء مشروع ضخ كالسد العالي كليل باثبات نوايا مصر غير-العدوانية . وعندما أعلن ايذن مقترحاته في خطابه السنوى في نوفمبر ١٩٥٥ حول ضرورة ان تصل اسرائيل والعرب الى تسوية تقوم على « حل وسط » بين حدود ١٩٤٧ التي اقترتها الأمم المتحدة وبين خطوط هدنة ١٩٤٩ التي تجاوزت اسرائيل فيها الحدود السابقة ، أبدى

عبد الناصر أرتيلاحه لهذه التصريحات ورفضتها اسرائيل دون تردد بل أن بن جوريون كان قد استدعى موسى ديان قبل أسابيع من هذه التصريحات للاعداد لغزو سيناء . وقبل أسبوع واحد استولت القوات الاسرائيلية على منطقة « العوجة » للسيطرة على طريق الغزو المرتقب . كان عبد الناصر يريد السلام ليتمكن من بناء السد العالي . لكنه لم يكن على استعداد بأن يقايض بهذا على ذلك .

وبدا عبد الناصر يدرك من خلال الاتصالات مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية على التحديد ، أن هناك اتجاهًا واضحًا لربط المسألتين معا وبشروط الولايات المتحدة . وقد ذكر عبد الناصر هذه الشكوك لتوم ليقل مراسل الايكونوميست اللندنية قائلا أنه يحس أن حاجة مصر لبناء السد العالي تستقل للضغط عليها لصالح اسرائيل . وقال أنه لا يقبل الربط بين المسألتين وسيرفض أى محاولة من هذا القبيل . وكان ذلك هو موقفه الثابت عندما استقبل بعنذ مبعوث « السلام الأمريكى »

وتنضى الرواية الأمريكية بايقاع اسرع واكثر وضوحا . بدأ هوفر يشترك فى المفاوضات الخاصة بالسد العالي والتي بدأت فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٥ بين الدكتور التيمسوى وزير المالية وبين بوجين بلاك رئيس البنك الدولى ، ومثل بريطانيا فيها السفير سير روجرز ماكينز .

وفى الثامن من ديسمبر ذهب دالاس الى « كاتب دينيد » لمقابلة الرئيس ايزنهاور . وقيل أن دالاس أبلغ ايزنهاور فى هذا اللقاء ، الذى استغرق نصف ساعة مشيا فى الغابات ، عن امله فى النجاح فى « شراء » اتفاقية بين اسرائيل ومصر مقابل معونة للسد العالي . وفى هذه المقابلة تم اختيار روبرت

أندرسون رجل الأعمال ووزير الخزانة السابق للقيام بالمهمة الصعبة لاقتناع عبد الناصر . وبدأت وسائل الاعلام الأمريكية ذات الصلة الوثيقة بدوائر وزارة الخارجية في الغرب تعزف في نفس الوتر . قالت صحيفة نيويورك تايمز بعد أيام من هذه المقابلة . « أن حكومة الولايات المتحدة تربط مقترحاتها الخاصة ببرنامج معونة لمدة عشرة أعوام لبناء السد العالي في مصر بتسوية للنزاع المصري الاسرائيلي . أن الأمل معقود على أن تؤدي المفاوضات من أجل معونة اقتصادية لمصر الى تسوية للموقف المضطرب في الشرق الأدنى » .

لكن مقالات الصحف لا تكفي لتهديد الجو لمهمة أندرسون . ففى نفس اليوم شنت اسرائيل غارة ليلية على سوريا فتقتلت ٥٦ مدنيا وعسكريا وخطفت ثلاثين مواطنا سوريا آخرين . وبين سوريا ومصر في ذلك الوقت — كما هو معروف — اتفاقية دفاع مشترك .

ووصل أندرسون الى الشرق الأوسط وتردد بين القاهرة وتل أبيب وقابل عبد الناصر وبين جورويون . أما بين جورويون فقد تخيل أن الفرصة ملائمة لفرض شروطه وطالب بمفاوضات مباشرة وعلنية مع عبد الناصر . لكن عبد الناصر أبلغ المبعوث الأمريكى أن بناء السد العالي بمعونة أمريكية وغربية لن يقنع الشعب المصرى والشعوب العربية الأخرى بالقبول بشروط اسرائيل .

وفشلت بعثة أندرسون . وكان بين جورويون يعد في نفس الوقت حكومته لقبول خطة موسى ديان العسكرية الاولى التى اكتملت في ٥ ديسمبر لغزو سيناء .

ومع ان كل المصادر الغربية المحايدة اجمعت على أن فشل

القسوية السلمية راجع لتعنت بن جوريون في الأساس ، وأن خطة بن جوريون السرية للحرب ضد مصر هي التي افشلت بعثة أندرسون ، الا أن نفس المصادر تقول أن فشل مهمة أندرسون هو الذي حكم على مشروع المعونة الأمريكية للسد العالي بالموت !

أذن فقد كانت الخطة منذ البداية هي تنفيذ مطالب صهيونية باسم تقديم معونة للسد العالي ، وعندما قدمت اسرائيل مطالب « غير معقولة » كما تصنفها بعض المصادر الأمريكية امتنعت «الولايات المتحدة عن تقديم معونة لمصر !»

١: الحماس للسد العالي من جانب الحكومة الأمريكية ، الأمريكين يخف تدريجيا . لم يبق على موقفه سوى يوجين بلاك رئيس البنك الدولي .

واسدل ستار من السرية حول مهمة أندرسون . لم تعرف اللجان الفرعية في مجلس الشيوخ الأمريكي شيئا عن وثائق هذه المهمة أو حتى أن أحدا قام بها أصلا ، عندما ناقشت لجنة القوات المسلحة والعلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ .

لكن السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية استطاع بعد شهر من التحري والدراسة الشاقة لوثائق رسمية أخرى أن يكشف أن « هناك دليل على أن الحكومة الأمريكية نفسها بدأت تعيد النظر في العرض (الذي قدمته للمعونة في بناء السد) بعد أسابيع قليلة فقط من تقديم العرض . »

أن هيربرت هوغر مثلا الذي بدأ مع دالاس مهمة بحث مسألة

السد العالي وفرض تسوية مع اسرائيل ، هو الذي طلب في نفس الوقت من الرئيس ايزنهاور أن يوافق على تزويد فرنسا لاسرائيل بطائرات ميستر ، النفثة ، بدلا من أن تسلمها فرنسا لحلف الاطلسي ، ووافق ايزنهاور على الفور . وقيل في تبرير موقف هوفر « أنه لم يهضم موقف عبد الناصر الحيادي القومي ، لأن هوفر نفسه معتد بقوميته ولا يتسامح مع قوميين أجنب » !

ومن سخرية الأقدار أنه في نفس الوقت الذي انتهى فيه حماس هوفر للمشروع كان يوجين قد أحرز أثناء رحلة له الى القاهرة نجاحا بارزا في الوصول الى اتفاق مع عبد الناصر حول دور البنك الدولي في تنفيذ المشروع !

كان بلاك قد ترك واشنطن في ٢٤ يناير ١٩٥٦ بوعده شخصي وحماسي من دالاس بمساندة الولايات المتحدة لمهمته . وتوقف بلاك لمدة يومين في لندن وحصل على وعد مائل من اتطوني ايدن بمساندة بريطانيا . وكما قال بلاك بالحرف الواحد بعدئذ : « ان ما ابلغني اياه دالاس وايدن هو أن ما أقوم به يعد شيئا هاما للغاية ، وأنهما يملآن الا أنصرف كأحد رجال البنوك . . وان على أن أقوم بهذه المهمة دون تشدد ، وبقدرة من المرونة .

ومن ناحية كانت المذكرات الملحة بنص الاتفاق ، والتي بعثت بها الولايات المتحدة وبريطانيا الى مصر تضمنت شروطا غير مقبولة بشأن مبلغ ٧٠ مليون دولار هو قيمة المساهمة في المرحلة الأولى لبناء السد . فقد طالبت الدولتان مصر بأن تلتزم بالتركيز على مشروع السد العالي فقط والا تبعد مواردها على مشروعات أخرى للتنمية الاقتصادية وأن تفرض

ضوابط أخرى محددة بحجة تجنب اثر المصروفات الهائلة لبناء
السد على أحداث تضخم نقدي في مصر . اما بالنسبة للبنك
الدولى فقد اشترط أن تحجم عن الحصول على أى قروض أجنبية
من أى جهة وعن توقيع أى اتفاقيات للدفع مع بلاد أخرى دون
موافقة البنك الدولى !

اصبح الموقف كما ذكر عبد الناصر اشبه بالاشراف الثنائى
البريطانى الفرنسى على مالية مصر فى سبعينيات القرن التاسع
عشر ، والذي انتهى بالاحتلال البريطانى .

كما أبدى عبد الناصر قلقا من التصريح الأمريكى البريطانى
الغامض وغير الملزم حول مسألة تمويل المرحلة الثانية للسد
العالى . وهو الذى وصفه عبد الناصر فى خطاب له بعد ستة
شهور بأنه كان نوما من المصيدة . فبعد أن تحصل مصر على
٧٠ مليون دولار وتبدأ فى بناء السد يمكن أن يتوقف كل شيء
ونكون قد انفقنا ما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار ، فلما أن
نكون قد القينا بهذه الاموال فى البحر أو نضطر لقبول شروط
البنك الدولى .. وعندئذ قد يرسل البنك الدولى من يتولى
منصب وزير المالية ثم وزير التجارة .. الى أن يرسل بعدئذ
من يتولى منصب رئيس الجمهورية .. كما قال عبد الناصر
ساخرا . !

استمرت المفاوضات بين يوجين بلاك وعبد الناصر من ٢٨
يناير الى ٩ فبراير وكانت الجلسة الأولى عاصفة ، واستغرقت
أكثر من ساعة ، حيث أبدى عبد الناصر ضيقه الشديد من
الشروط التى جاءت فى المذكرة البريطانية الأمريكية .

وفى النهاية استطاع الطرفان الوصول الى اتفاق أولى او
« تنهم متبادل » كما جاء فى البلاغ المشترك الذى صدر فى التاسع

من فبراير عام ١٩٥٦ . وأبلغ يوجين بلاك مراسلى الصحف يومئذ ان البنك الدولى سيساهم بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار فى المشروع . وان المشروع سيكلف ١٣٠٠ مليون دولار منها ٤٠٠ مليون دولار بالعملة الصعبة وما يوازى ٩٠٠ مليون دولار بالعملة المصرية .

وأعرب بلاك من سعادته بأن يشارك البنك الدولى فى مثل هذا العمل العظيم الذى يعد « أضخم مشروع منفرد تم تنفيذه فى تاريخ العالم » وفقا لنص كلماته .

فى الطريق الى الولايات المتحدة توقفت الطائرة للتزود بالوقود فى روما وتقابل بلاك صحيفة مع السفير هنرى بايرود الذى كان عائدا من واشنطن الى مقر عمله فى القاهرة . وأبلغ بايرود بلاك أن الولايات المتحدة فقدت حماسها نهائيا بالنسبة لمشروع السد العالى . لم يكن بايرود متحمسا منذ البداية لمشاركة الولايات المتحدة فى المشروع ، لكنه كان معارضا لانسحاب بلاده من المشروع بعد أن أعلنت موافقتها على تمويله ولذلك قرر دالاس فى نفس الوقت أن يسحب سفيره من القاهرة وينقله الى جنوب افريقيا أما بسبب موقفه الجديد أو لتجهيزه الكثير من الحرج . وتم ذلك بالفعل قبل أربعة أيام من سحب العرض الأمريكى لتمويل السد .

وعندما وصل بلاك الى نيويورك أعلن فى محاولة أخيرة يائسة أنه يحمل أكبر التقدير للرئيس عبد الناصر وأعلن أن عبد الناصر يتخذ موقفا وديا من الولايات المتحدة الأمريكية . لكن محاولات بلاك لم تجد أى صدى لدى وزارة الخارجية الأمريكية . . كان اپدن كما يقول فى مذكراته قد اجتمع بصحبة سلوين لويد مع ايزنهاور ودالاس فى واشنطن أثناء مفاوضات

بلاك مع عبد الناصر في القاهرة لمناقشة شئون الشرق الأوسط .
« واتفقنا على أن مستقبل سياستنا في الشرق الأوسط يتوقف
الى درجة كبيرة على عبد الناصر . ورأى - الأمريكيون أن
المحادثات الحالية حول سد أسوان مع بلاك يمكن أن تكون
مؤشرا لتفكير عبد الناصر فإذا كان موقفه (عبد الناصر) في
هذه المسألة وغيرها يبين عدم استعدادة للتعاون ، فعلينا أن
نعيد بحث سياستنا تجاهه » .

ولاحظ اين أن هناك تغييرا واضحا في الموقف الأمريكى
بهذه الصورة من التليد الحار ، الذى قدمه هو ودالاس ليوجين
بلاك قبل أسبوع واحد .

وبدأت الولايات المتحدة تتبع نفس الأسلوب الذى مارسته
مع مصر في مسألة التسليح . وهو عدم الرد على رسائل عبد
الناصر وعدم الالتزام بأى وعد . فقبل نهاية فبراير أرسل
عبد الناصر بعض الاستفسارات حول الشروط التى تطالب بها
واشنطن ولندن . مع بعض الاقتراحات لتغيير صياغة هذه الشروط
تجنبنا لأى نص يتعارض مع سيادة مصر . لكنه لم يلق ردا من
واشنطن أو من لندن . كانت واشنطن قد اتخذت قرارها
النهائى للأسباب المعروفة . أما بريطانيا فقد رأت في عبد الناصر
مصدرا لأى تهديد لنفوذها في الوطن العربى وعندما
أخذ الملك حسين قرارا بطرد جلوب باشا من الأردن ، اعتقد
ايدن أن عبد الناصر هو الذى أوعز للملك بهذا القرار ، وأعلن
أنه لن يهدأ حتى يدمر عبد الناصر . ولذلك فلم يكن من
المتوقع أن يرد ايدن على استفسارات عبد الناصر بشأن السد
العالى . وانضمت فرنسا الى جهامات الضغط ضد عبد الناصر
فقد كان جى موليه يتشاور مع بن جوريون سرا لايحسب طريقة
للخلاص من عبد الناصر ، لاعتقاده أن تأييد مصر لثورة الجزائر
لن يتوقف الا بالخلاص من عبد الناصر !

ويروى محمد حسين هيكل الفصل الأخير في قصة السد
العالي بين أمريكا ومصر :

« ... عاد الدكتور أحمد حسين (سفير مصر في الولايات
المتحدة) ليقدم تقريره عن مفاوضات السد العالي ، فزار
الرئيس في الأسبوع الأول من يوليو (١٩٥٦) في مصيف
برج العرب الساحلية الصغيرة حيث كان عبد الناصر يستجم
قبل الذهاب إلى يوغوسلافيا ، لحضور مؤتمر بريوني مع
تيتو ونهرو - وهو مؤتمر آخر لدول « عدم الانحياز » جن
جنوب وزير الخارجية (الأمريكى) منه .

« كان ثمة غداء عائلى ، في اليوم الذى وصل فيه أحمد
حسين ، وبعد الغداء انفرد الرجال للحديث الجدى ووضع
عبد الناصر - الذى كان يرتدى الثورت ومعبصا رياضيا -
الرجال معه في سيارة شيفروليه سائقها إلى كابن على
الشاطئ وهناك باشرُوا الحديث وهم يصفون إلى أمواج
البحر .

« تحدث أحمد حسين من الموقف في واشنطن ، ومن
مصاعب دالاس مع الكونجرس . لكن عبد الناصر استوقفه
قائلا : « أثنى لن أخوض في التفاصيل ، لكن عندى الدليل
القاطع على أنك حتى لو عدت وقبلت بشروطهم كلها التى
ترىح دالاس مع الكونجرس فانهم لن يعطونا السد العالي »
وتمسك أحمد حسين بموقفه قائلا : « لا يا سيادة الرئيس أن
المشكلة في الواقع هى أن الكونجرس ... » ومضى يشرح
مشكلات دالاس لمدة ساعة كاملة .

وفي النهاية قال الرئيس :

— حسنا .. سأعطيك الفرصة لكي تثبت شيئاً من أجل مر
عد وقتل لدالاس أنك قبلت بجميع شروطه ثم راقب رد فعله .

ودهش أحمد حسين وقال :

— الا تريد تعديل أى من الشروط ؟

نقال عبد الناصر :

— لا انى اعطيك تنويضا كاملا . اذهب وقتل له : اننا قبلنا ؛
بلن يتجدد الالتزام الأمريكى تجاه السد العالى كل سنة ،
ولكن لا نقتل أو نقتل شيئاً يمس كرامتنا ، ذلك لاننا لن نحصل
على السد العالى .

وخرج أحمد حسين من الاجتماع وهو فى اشد الحيرة ،
وعاد الى واشنطن عن طريق لندن بينما توجه الرئيس
عبد الناصر الى يوغوسلافيا .

عندما وصل أحمد حسين الى لندن اطلق بتصريح قال فيه .
ان مصر تقبل بجميع المقترحات المقررة بشأن السد العالى .
وانها ترحو مساعدتها على بناء السد، وتعتمد على هذه المساعدة
وتطلبها .

وسمع الرئيس عبد الناصر من الأذاعة بخبر هذا التصريح
وذلك نحو منتصف الليل وهو فى قطار يعبر به كرواتيا (فى
يوغوسلافيا) وقد ضايقه التصريح اذ شعر بأن مصر قد
أهينت . وأنه ما كان على أحمد حسين أن يذلى بكى تصريح قيل .
ان يقبل دالاس ، كما أنه كره عبارة « ترحو وتعتمد وتطلب » .

وبالمصادفة الغربية توقف القطار تلك اللحظة فى محطة :

صغيرة احتشدت بجمهور من الناس يهتفون « تيتو .. ناصر
تيتو .. ناصر » وكان الرئيس في بيجامته ولم يكن راغباً في
مقابلة الناس إذ لم يكن مرتدياً الملابس اللائقة باللقاء ،
كما كان متضايقاً ولكن قيل له أن الناس كلوا ينتظرونه في
المحطة منذ زمن طويل ، فارتدى قميصاً فوق سروال البيجاما
ووقف على النافذة يلوح بيده ، وعندما خرج القطار من المحطة
عاد وارتدى سترة البيجاما واستأنف الحديث عن تصريح
أحمد حسين .

وعلم دالاس أيضاً بتصريح أحمد حسين وإحس بأنه سوف
يوضع موضع الحرج الشديد ، إذ أنه سيواجه صعوبات
شديدة إذا ما وصل السفير المصري وقال له رسمياً أن مصر
قبلت بكل شروطه . كان أيزنهاور يقضى فترة استجمام
ويلعب الجولف بعد نوبة قلبية واتصل به دالاس تليفونياً
وأبلغه بأن المصريين لا يتجاوبون معه وبأنه يقترح سحب
عرض المساعدة على بنها السد ، فأجابه أيزنهاور : « أى شيء
تراه يا فوستر .. أى شيء تراه » ، وكان ذلك يوم ١٨ يوليو .

وفي اليوم التالي وصل أحمد حسين إلى وزارة الخارجية
الأمريكية للاجتماع بدالاس ، ولم تبض دقيقة واحدة على
دخوله باب مكتب دالاس ، حتى أصدر النكولن هوايت
- المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية - بياناً ، إلى
المراسلين الذين كانوا في الانتظار يعلن سحب العرض الأمريكي
بالمساعدة ، وحدث ذلك حتى قبل أن يبدأ الحديث بين دالاس
وأحمد حسين .

كان ذلك الاجتماع المؤسف ، من أسوأ الاجتماعات طالعها
بين الاثنين ، وقد أبرق أحمد حسين بما جرى إلى الرئيس

عبد الناصر بعبارات تعتمر بالآلم ، ذلك أن دالاس غابجه
بالقول حتى قبل أن يفتح فاه :

— سنصدر بيانا يا سعادة السفير .. أنتى آسف لاتقا
أن نساعدكم على بناء سد اسوان .

وتنكر أحمد حسين ما كان عبد الناصر قد قال له ، فنفسر
فيه واسعا ، لكنه لم يستطع أن ينطق بكلمه . ومضى دالاس
بقرا البيان ، الذى كان لنكون هوايت سبق أن وزعه على
الصحفيين ، والذى جاء فيه : أن الولايات المتحدة قررت
سحب عرضها لأن اقتصاد مصر لا يستطيع تحمل مثل هذا
المشروع .

وبدا أحمد حسين يحتج بأن هذا القول يشكل اهانة ، لكن
دالاس استأنف على حد ما قال أحمد حسين في تقريره
— المناقشة بطريقة ساخرة قائلا : « أننا نعتقد بأن من يبنى
السد العالى — ليا كان — سيكسب كراهية الشعب المصرى .
ذلك لأن الحب سيكون سلاحنا » .

وقال دالاس : ليس في وسع الشعب المصرى أن يتحمل
عبء تنفيذ مثل هذا للمشروع الضخم ، فمطالباته تتجاوز
ما تستطيع مصادر مصر احتماله وخلاصة بعد التزليها
تجاه شراء الأسلحة . أننا لا نريد أن نكون مكروهين في مصر ،
ولذا سنترك هذه المتعة للاتحاد السوفيتى ، إذا كان يعتقد
أنه يريد أن يبنى السد .

ولاستطرد يعرب عن اعتقاده ، بأن الروس لا يملكون
المساحرة الكافية للمشروع ولأنهم لو تمهدوا بتنفيذه فإن الدول

التابعة لهم مستترة عليهم ، الاتهم يساعدون مصر بينما يرفضون اعطاءها المساعدة التي تطلبها .

والواقع انه بالرغم من انه كانت قد تسربت الى الصحف الامريكية مناوره احمد حسين الدبلوماسية بنكر المساعدة الروسية ، والحقيقة انه لم يكن قد جرى أى اتصال قط مع الروس فى هذا الشأن ، بل انه لم يجرى أى اتصال لفترة ما بعد ذلك .

ومن العجيب أن دالاس عاد الى هذه النغمة اثناء محادثة اجراها مع الدكتور محمود فوزى ، وزير الخارجية المصرية ، عند مناقشة أزمة السويس فى الأمم المتحدة . وقال فوزى فى برقية الى الرئيس عبد الناصر : أن دالاس ابلغه ان السد العالى عملية سفتهك الاقتصاد المصرى وانها كانت ستثير كره المصريين لأمريكا ، لأن من شأنهم ان يحسبوا بانهم حرموا الكثير من الاشياء بسبب الولايات المتحدة . وهكذا فنحن لا نعترض على قيام الروس ببنائه السد .

« وقال فوزى فى برقيته : أن دالاس يعتقد انه فى وسع مصر — على أى حال — أن تبول السد العالى من دخل قناة السويس وذلك فى رايه هو الحل الأفضل لأنه يعنى ان السد لن يكون اذ ذاك مولا من اية دولة واحدة معينة » .

« وقيل بعد ذلك لعبد الناصر ان دالاس يعتبر سحب عرض المساعدة بمثابة ضربة معلم » وكان قد قيل لدالاس ذات مرة ، عندما شكنا من انه لا يستطيع متابعة تهركات عبد الناصر : ان عبد الناصر لاعب شطرنج ماهر ، وظن دالاس ان مناوخته هذه ستعنى انه يقول لعبد الناصر « كش ملك » وكان ذلك تعبيراً

استعمله دالاس بالفعل مع بعض مستشاريه وهو يهنئ نفسه
على ضريته الحازمة !

« وفي تلك الليلة كان عبد الناصر ونهرو عائدین فی طریق
الجو علی متن طائرة رسمية مصرية . وكان من المقرر أن يمضی
نهری یومین فی القاهرة . وكان الزعمیان فی مقدمة الطائرة
وهما يتناولان بعض المربطات فی انتظار أن تلوح لهما أضواء
الاسكندرية . وجاء المرافق الجوي لعبد الناصر من قمرة القيادة
فی الطائرة یحمل رسالة لاسلكية تحتوی علی خلاصة لبيان
دالاس فقرأها الرئيس واعتذر لنهری دون أن یخبره بمضمونها
وحملها الی مؤخرة الطائرة لیطلع الدكتور فوزی ویطلعنی علیها
وقال : أن هذا لیس سحبا للعرض . أنه هجوم سیافر علی
النظام الحاکم ودعوة للشعب المصری الی إسقاطه . »

وانتحنى الرئيس جانبا ، وجلس وحيدا مدة ربع ساعة ، ثم
عاد واطلع نهری علی الرسالة . وقراها الزعيم الهندی وقال :
« بالصلافة هؤلاء الناس » .

ولكن نهری لم يشعر — لحظتها بشوة العاصفة التى كانت
الأقذار تنسج خيوطها .

وفی نحو منتصف الليل هبطت الطائرة فی مطار القاهرة
حيث جاء السفراء . واصطفوا — یما فیهم هنرى بایرود
لاستقبال عبد الناصر ونهری ونفا للبروتوكول .

كان بايرود محرجا الى درجة مخيفة . فقد سمع الجميع

بالخبر . وقد مر به الرئيس وصافحه لكن قبيل رحيل نهرو
كان عبد الناصر قد قرر نوع الرد على اهانة دالاس .

فقد قرر أن يؤمم قناة السويس ، التي ظلت طويلا رمزا
للسيطرة الأجنبية وأن يستخدم دخلها في بناء السد العالي .

واتخذ عبد الناصر هذا القرار ما بين العائسة والحادية
عشرة من صباح السبت ٢٠ يوليو » .

السُّدُّ وَالْحَقِيقَةُ

« وينوا كما يجب ان ينسى الرجال
سيف في يد وممول في اليد الاخرى »
(ت. س. البيوت)

السد والحقيقة

لم يكن دالاس صادقاً فيما ذكره من أسباب للنكوص من
تعهد الولايات المتحدة بمساعدة مصر في بناء السد العالي . وكل
ما ذكره وزير الخارجية في بيانه الرسمي ، او في أظايفه مع
الدبلوماسيين كان مخالفاً تماماً للحقائق المعروفة في ذلك الوقت
أو التي عرفت فيما بعد .

وصف مسئول أمريكي (روبرت مورفي) بيان دالاس بأنه
ذلك البيان الذي لم يقل شيئاً . ووصفه يوجين بلاك « بالقسوة
والكذب » إذ لك أن تتصور - كما قال - أنك طلبت قرضاً
من بنك تشيزمانهاتن مثلاً بمبلغ ١٠ آلاف دولار ثم تقرا في
الصحف في اليوم التالي أن البنك رفض إعطائك القرض
لأنك سمعتك المالية ليست طيبة !

وذكر السناتور فولبرايت بعد ثلاثة عشر شهراً من بيان

دالاس أن اللجنة التي يرأسها في مجلس الشيوخ اكتشفت خلافا لبيان وزارة الخارجية الأمريكية ، أنه لم يكن هناك أى دليل على سوء حالة الاقتصاد المصري عندما قررت الولايات المتحدة سحب العرض . وأن الأسباب التي قدمت للرأى العام لم تكن سليمة .

ولقد كتب ايزنهاور في مذكراته أن صفقة الأسلحة السوفيتية الثانية استنفدت جزءا من محصول القطن المصري ، وجعلت من الواضح أن مصر لن تستطيع أن تلتى بالتزاماتها في تمويل السد بالشروط التي نقبلها . . وردد دالاس ومورفي وايدن نفس الحجة . لكن يوجين بلاك رفض هذه الدعاوى وقال أن سلامة الاقتصاد المصري وسلامة المشروع من المسائل التي يقرها البنك الدولي ، وأن البنك أعلن رأيه فيها وكان إيجابيا . وهو نفس ما أبلغه بلاك لدالاس ومورفي رسميا بعد وصوله من القاهرة . كما أنه أعاد تأكيد موقف البنك في رسالة منه الى الدكتور القيسوني في التاسع من يوليو ، قبل عشرة أيام من نكوص دالاس !

حتى السفارة الأمريكية في القاهرة — كما يقول كينيث لوف ذكرت بعد سنوات من هذه الأحداث أن صفقة الأسلحة الثالثة التي موضعت خسائر مصر عام ١٩٥٦ . « لم تسبب أى ضغط بالمرءة على الاقتصاد المصري » وأن تكاليف الأسلحة لم تتجاوز ٢٥ مليون دولار في العام على شكل سلع استهلاكية فائضة من حاجة الأسواق العربية ، وأن المصريين اتفقوا مع السوفيت على أن يبيعوا لهم غزلا من القطن الخام مما يرفع من قيمة القطن المصري .

وقد يبدو كل هذه الحجج أكثر هزلا الآن . ذلك أن نجاح

مصر في بناء السد العالي مع استمرارها في الحصول على السلاح
السوفيتي يسقط نهائيا كل ما قيل عن عدم قدرة الاقتصاد
المصري على تحمل النفقات .

ولعل ملاحظة السناتور فولبرايت في هذا الاتجاه هي
أكثرها ذكرا وسخرية من موقف حكومته الرسمي : « فقد
كانت صفقة الأسلحة (السوفيتية) السبب الأساسي لتقديم
العرض الأمريكي) . ولذلك يبدو الموقف نوعا من العبث عندما
يقال ان صفقة الأسلحة كانت السبب في تقديم العرض والسبب
في سحب العرض في نفس الوقت !

بدأت المواجهة التي لم تطلبها مصر ولم تسع اليها . ولكن
عندما لاحت نذرها لم ينكص عبد الناصر عن المواجهة .

وعندما كانت الاستعدادات تجري للاحتفال بعيد الثورة
اتصل محمد حسنين هيكل بالرئيس عبد الناصر الذي قال له
ان موضوع خطابه سيكون « ان مصر ستبنى السد العالي حتى
لو اضطرنا الى بنائه بالمحاول » .

« كان لا يزال في حالة تفكير عميق يبدو فيه اثر الغضب
المكبوت ، وقال لي ان دالاس وايدن كانوا يخدماننا طول
الوقت . فقد ضغطا علينا من اجل الصلح مع اسرائيل ،
وضغطا علينا لدخول التحالف ، وطالبنا بتمديد امتياز شركة
القناة ! ولكن كل ما ارادنا تحقيقه هو زيادة نفوذ بلديهما .
واستدرك الرئيس قائلاً : « لكننا سنبنى السد العالي بأنفسنا
وسننفل كل شيء لجعله حقيقة واقعة » .

واعلن عبد الناصر تأميم القناة في خطابه الشهير ، وانتزع
بصرية واحدة حقوق الشعب المصري المهذرة وانتقم في نفس

الوقت لكل الاهانات التاريخية والمعاصرة ، واسترجع مصدرا
مصريا لتمويل مشروع السد العالي ، الذى أرادت الولايات
المتحدة ان تقايض به على استقلال مصر .

ونشبت الحزب، بحجة حماية القناة المصرية من «مفتصبها»
المصريين . رغم انهم كانوا يعدون لهذه الحرب ويستعدون لغزو
مصر حتى لو لم يؤم عبد الناصر القناة .

وخرجت مصر من حرب السويس او العدوان الثلاثى ،
الذى تم بتواطؤ من الولايات المتحدة الامريكية ، وهى اكثر
تصبيا على بناء السد العالي والاقتصاد الوطنى باندفاع اكبر ،
وبأسلوب افضل وبرؤيا اكثر وضوحا .

وقال عبد الناصر للقائد تشى جيفارا - عندما قابله فى القاهرة :-

« لقد خضنا معركة من اجل السد العالي . كانت هناك
رومانسية الثورة بأسرها والرومانسية الكاملة لمعركة كبرى
ضد ثلاث دول . لقد تعرضت السويس للغزو بسبب السد
العالي . ولكن كان علينا - بعد انتهاء القتال - ان نعكف
على المهمة الحقيقية ، وقد اعتاد دالاس ان يقول لنا أننا
سنلعب اليوم الذى فكرنا فيه فى بناء السد ، بسبب
التضحيات التى سيفرضها على الشعب المصرى ، ولكن هذه
هى الثورة . ان هذه التضحيات هى الثورة . الثورة هى
للعمل يوما بعد يوم لحفر الاسس الصخرية ، وبناء الاتفاق ،
وتركيب الآلات ، فهذا ما يغير المجتمع . ان قوة الفاعلية
الثورية هى تجنيد الناس للقبول بالتضحيات اللازمة للبناء
على العوام » .

كان الاتحاد السوفيتى فى الحقيقة اول دولة عرضت على
مصر تقديم المعونة لبناء السد العالي فى اكتوبر ١٩٥٥ . وكان



هذا العرض الى جانب صفقة الأسلحة هو الذى اثار واشنطن ولندن للتقدم بعرضهما المعروف لكن عبد الناصر لم يحاول استخدام العرض السوفيتى « لابتزاز » الغرب وان كان قد اثار اليه فى حديثه مع مراسل نيويورك تايمز فى ٢ ابريل ١٩٥٦ بعد أن تجهمت لدى عبد الناصر كل الاثمة على نكوص الغرب عن وعوده ومع ذلك كان حريصا فى حديثه مع مراسل الصحيفة المذكورة أن يحدد أنه لا يذكر العرض السوفيتى للمعونة كتهديد أو تهوئش . « ان العرض السوفيتى كان عرضا عاما ، ونحن كحقيقة لم ندرسه بعد » .

وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٥٨ وقعت مصر والاتحاد السوفيتى على الاتفاقية التى تعهد الاتحاد السوفيتى بهوجيها بتقديم المعونة الاقتصادية والفنية لمصر لبناء المرحلة الاولى من السد العالى ، وبعد اقل من شهرين تم التصديق على الاتفاقية وشرع الاتحاد السوفيتى على الفور فى تنفيذ تعهداته .

وبدأت الهيئات السوفيتية المختصة تعد الدراسات الأولية الخاصة بالمشروع ، وفى مارس عام ١٩٥٩ سافرت أول جماعة من الخبراء السوفيت الى القاهرة حيث زارت الموقع المقترح للسد فى اسوان ودرست بعض الأمور الفنية على الطبيعة . يقول البروفيسور كوزين كبير الخبراء فى بناء السد العالى : « بعد أن تعرفنا على المنطقة التى سيقام فيها السد اقتنعنا بكل وضوح بأن مشروع شركات أوروبا الغربية تبظه سلسلة من التفاصيل غير الضرورية ، والتى تستنفذ جهدا ومالا كثيرا » .

ويضرب البروفيسور كوزين مثلن للتعديلات التى اجراها

السوفيت على المشروع الغربى . الأول خاص بالاتفاق ،
والثانى خاص بالمحطة الكهربائية .

فقد صممت الشركات الغربية مشروع الاتفاق لتصريف المياه
ببلغ طوله ١٥ كيلومترا . بينما اقترح الاخصائيين السوفيت
بناء قناة مكشوفة لتصريف المياه لا يزيد طولها عن حوالى ٢
كيلومترات ، مع ستة انفاق ستوضع فيها البوابات لتنظيم
المياه .

وحدد المشروع الغربى انشاء محطة كهربائية طاقتها حوالى
٢ مليون كيلوات على ضفة النيل اليسرى ، مما يقتضى القيام
بالعمل على كلتا ضفتى النهر . بينما اقترح المصممون
السوفييت بناء محطة طاقتها ٢ مليون كيلوات على الضفة
اليمينى للنهر وعلى قناة التصريف المكشوفة ، ووفروا بذلك
حوالى ١٣ مليون جنيه مصرى . وقام المشروع السوفيتى
من البداية على اساس اتاحة الفرصة فى عام ١٩٦٤ للحصول
على بضع مليارات من الامتار المكعبة من مياه النيل للرى ،
مما يعنى ابتداء تحقيق عائد من مشروع السد قبل الانتهاء من
اتمامه بست سنوات .

كان الوفد المصرى برئاسة موسى عرفة وزير الاشغال قد
عاد من زيارة للاتحاد السوفيتى بعد ان التقى بالخبراء
السوفيت ، وزار المشروعات السوفيتية المماثلة ، وشاهد
نموذجاً مجسماً للتصميمات الخبراء السوفيت للمشروع المصرى .
وبعد ان تحدث بالتفصيل من مشاهداته اعلن بان مصر قررت
دموة الخبراء الغربيين للنظر فى المشروع السوفيتى .

وتلقت بعض صحف الاثارة الغربية تصريحات الوزير
المصرى بطريقة سياسية لا علاقة لها بمشروع يناقش على

أساس اقتصادى وفنى . كان الهدف واضحا منذ البداية ،
فمادام الغرب لم يبن السد العالى ، فلا يجب أن يبنه أحد .

ووصل الى القاهرة وفد من الخبراء السوفيت برئاسة
كومزين وعضوية مالمشيف نائب رئيس المهندسين فى مؤسسة
هيدروبروجيكت (رئيس مهندسى تصميم سد أسوان)
وكاراتاييف ، وجوركوف ، وذلك لمناقشة المشروع السوفيتى
النهائى مع نظرائهم الغربيين والمصريين .

وخلال شهر لم يهدأ الجدل والنقاش فى وزارة الأشغال
واللجنة العليا للسد العالى . حيث اشترك فيه أبرز الخبراء
الأجانب من الغرب والشرق . وفى النهاية اعترف الخبراء
الغربيون ومن بينهم ك. ترازجى ، وشتراوب ، و. ا. ستيل
(الولايات المتحدة) ، م. بروس (ألمانيا الغربية) ، اكوين ،
وى ايشى (فرنسا) بأفضلية المشروع السوفيتى . وقال
خبراء آخرون أنه اذا كان الاقتراح السوفيتى بسد الحاجز
الحجرى بالرمال على عمق ٢٥ مترا تحت الماء ناجحا ،
فسيكون ذلك شيئا جديدا فى تبسيط وتقدير بناء سدود كبيرة
كهذا السد .

وبعد أن تم الاتفاق بين الجميع صادق الرئيس عبد الناصر
على المشروع النهائى فى ٢٦ يونيو ١٩٥٦ وبدأ العمل .

فى صبيحة التاسع من يناير عام ١٩٦٠ ضغط الرئيس
عبد الناصر على زى أحمز ، وفى الحال تمجرت عشرات الاطنان
من الديناميت بنوى يصم الأذان . وكان ذلك بدء المشروع الفعلى
فى انشاء المرحلة الاولى للسد العالى بعد أهوام من الدراسات
والتصميمات والتعديلات ، وبعد أن بدأت مختلف المصانع فى



الاتحاد السوفيتى فى انتاج المعدات الجبارة الخاصة بالعمل فى السد ، وكل ما يلزم للسد بمنذ من آلات ميكانيكية ومعدات كهربائية وحسابات الكترونية وغيرها .

وفى الخامس عشر من يناير عقد نوميكوف وزير المحطات الكهربائية السوفيتى مؤتمرا صحفيا فى القاهرة اجاب فيه عن أسئلة حول بناء المرحلة الثانية للسد . قال نوميكوف ان الحكومة السوفيتية ستنتظر بعين الود الى أى طلب من حكومة مصر لتقديم عون سوفيتى مماثل لبناء المرحلة الثانية .

وعن طريق نوميكوف عرض الرئيس عبد الناصر اقتراحا بأن يعملون الاتحاد السوفيتى مصر فى بناء المرحلة الثانية ، ولم يستغرق رد الاتحاد السوفيتى أكثر من بضعة أيام . قال خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يومئذ فى رسالة الى عبد الناصر فى الخامس عشر من يناير عام ١٩٦٠ .

» ... وفى خلال حديثكم مع وزيرنا ا. ت. نوميكوف ابدتكم رغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة رسميا فيما يتعلق بإشتراك الاتحاد السوفيتى فى بناء المرحلة الثانية من سد أسوان العالى »

وان حكومة الاتحاد السوفيتى التى درست رغبتكم — ولكن رائدتها فى ذلك مواصلة تقوية علاقات الصداقة بين بلدينا — تبدى موافقتها على الاشتراك فى انشاء المرحلة الثانية من سد أسوان على نفس الأسس التى اتفقنا عليها عندما اشترك الاتحاد السوفيتى فى انشاء المرحلة الأولى من هذا السد .

ورد عبد الناصر برسالة الى خروشوف قائلا انه لا يخالجه الشك فى أن الرسالة التى حملها الى اليوم وزيركم ا. ت.

نوفيكوف فيما يتعلق بموقف الحكومة السوفيتية من بناء المرحلة الثانية من مشروع السد العالى هى ما يعزز هذا التقدير ويؤكد أسبابه ودعائمه : ذلك أن شعبنا الذى يخوض الآن غمار معركة مجيدة من أجل تطوير بلاده ورفع مستوى معيشته يشعر بالعرفان الكبير لكل يد تمتد لمساعدته فى معركته المجيدة الكبرى .

أصبح السد حقيقة بكل ما ستحمله هذه الحقيقة من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية فى المستقبل . ولذلك فبعد آلاف الكلمات من الافتراء السياسى « البطن » « باسانيد » أو أكاذيب « فنية » من جانب الولايات المتحدة والغرب ضد السد العالى ، تغير الموقف فجأة وأصبح الاشتراك فى بناء المرحلة الثانية — على الأقل — من جانب الولايات المتحدة وألمانيا الغربية هدفا يستحق أن تبذل من أجله الجهود الدبلوماسية والاعلامية .

واكتشف الرئيس ايزنهاور أن الولايات المتحدة « مستعدة للمساهمة فى بناء المرحلة الثانية من السد العالى » كما ذكر فى حديث الى الصحفيين « !

وبدأت صحف نيويورك كمن يطالب بحق ضائع تتحدث من ضرورة مساهمة البنك الدولى فى تمويل المرحلة الثانية من السد وعرضت جمهورية ألمانيا الغربية تقديم قرض بمبلغ ٢٠٠ مليون مارك ألماني (حوالى ٢٥ مليون جنيه استرليني) للمساهمة فى المرحلة الثانية . وارتبطت زيارة إيرهارد مستشار ألمانيا الغربية للقاهرة بالمباحثات حول المرحلة الثانية من السد . وبعد وصول الوفد السوفيتى الى القاهرة أسرعت ألمانيا الغربية بزيادة القرض المقترح الى ٣٠٠ مليون مارك . وحتى الآن دالاس مدير المخابرات الأمريكية وشقيق وزير الخارجية

أدلى بخلوه في الموضوع لكن بطريقة رجل المخابرات الذى يخشى من التغلغل السوفيتى في افريقيا اذا ما انفرد الاتحاد السوفيتى بالمساعدة في بناء السد !

وتصانف أن كان وفد من رجال الأعمال الأمريكين في زيارة للقاهرة في نفس الوقت ، فقللوا بنشاط محموم ، ملئين عن استعدادهم للمساهمة في بقاء المشاريع المدرجة في خطة السنوات الخمس لتصنيع مصر ! .

لكن خبرة السنوات الماضية الزيرة وكل التاريخ المصرى الحديث لم تكن تسمح للحظة واحدة بتصديق كلمة من كل ما قيل . وفي أغسطس ١٩٦٠ انتهت المحادثات التفصيلية الخاصة باشتراك الاتحاد السوفيتى في المرحلة الثانية ووقعت في السابغ والعشرين من نفس الشهر اتفاقية المعونة السوفيتية لبناء المرحلة الثانية والنهائية للسد العالى .

كانت البداية شاقة . فلم يسبق للخبراء والمهندسين والعمال السوفيت أن بنوا سدا من السدود الكثيرة التى انجزوها تحت حرارة تصل الى ٥٠ درجة مئوية . ولم يسبق للمهندسين والخبراء والعمال المصريين أن بنوا شيئا بهذا المستوى من قبل . وكانت هناك عشرات بل مئات الصعوبات التى تتعلق بالموقع ، وطريقة نقل المعدات الجبارة ، والعمل عليها ، وصعوبة اللغة الأخرى بالنسبة للمصريين والسوفيت على السواء .

لكن « ظلماً البنايين المصريين الى المعرفة كان مظلماً » كما يقول خير سوفييتى . كان المصريون يسعون لآنجاز المشروع بأسرع وقت ممكن ، وما إن بيدعوا في التعليم حتى يديروا أعقد الآلات بأنفسهم ، وفي زمن قياسى .

وكان السوفييت يعملون ونفعا لافضل تقاليدهم القومية والاشتراكية . « ان الظاهرة المشتركة بين كافة الخبراء (السوفيت) الكبار هي اتهم جميعا اشتركوا في الحرب وفي بناء أضخم المشروعات المائية والكهربائية في الاتحاد السوفيتي ثم في البلاد الأجنبية . ان تاريخ اى واحد منهم هو نفس تاريخ الاتحاد السوفيتي .. البناء ثم الحرب فالعودة الى التعمير » .

يقول أحد كبار الخبراء : (رانتشكو) : من وجهة نظر المعيشة أو الترفيه لم يكن العمل هنا ممتعا دائما .. اننا نعمل هنا لا تدفعنا منافع كثيرة . اسألوا اذن ما الذى أبقانا هنا ؟ اننا ننظر الى العمل هنا كمسئولية هامة على حكومتنا . ونحاول ان ننجز هذه المهمة على احسن شكل . ونحن نفهم جيدا أهمية العمل هنا .. اننا ندرك مسئوليتنا : ان الفائدة من بقاءنا هنا هي نفسها التى تعود علينا من عملنا في بلادنا . فنحن ندرك أهمية مساعدة العرب .

وفي ظل السد ، ومن خلال العمل الدائب والتحدى الشاق ظهر ما اسماء الكتاب والفنانون « باتسان السد » المصرى برزت الى السطح فضائل المصريين الذين ميزتهم طوال آلاف السنوات قدرتهم على العمل والبناء ، وجلد بلا حدود .

ولم تهزم البيروقراطية المصرية التقليدية ذات الخمسة آلاف عام كما هزمت في أسوان ، وعلى أيدي مصريين من كبار الخبراء الذين قضوا عشرات السنين من قبل على المكاتب ، وعلى أيدي مهال من الشباب والكهول جامعا من أعماق الريف ومن كل قرى ومدن مصر . .

يقدم ثلاثة من أدباءنا الشباب قضوا بضعة شهور مع العاملين في السد نماذج عديدة للمصريين الذين خلقوا من جديد مع المشروع الجبار . ان شيئا غامضا مس روحهم جميعا .. الذين درسوا في أرقى الجامعات الأجنبية والذين لم يروا شكل الحروف الأبجدية قبل التحاقهم بالعمل .

« أخطر خبرة اكتسبتها هنا هي من قيادة الناس وقيادة العمل وتنوع طرق التشغيل ، مش حتمدق لو عرفت أن سنئ ٢٢ سنة بس ، أنا خريخ فنون جميلة اسمى حسن توفيق ، المرحلة الأولى (للسد) نجحت بسبب التعبئة السياسية الشاملة التي حولت السد العالي الى رمز قومي ومعركة وطنية ممثلة بالتحدي والاقدام والخوف من عدم الاتجاز ، بالجسارة والبطولة كحرب كمعركة حياة .. سنة ١٩٦٣ كان فيه خوف من الفيضان كان هناك سباق مع الزمن ، لازم قناة التحويل تكون جاهزة ، كان معروف أن فيضان ١٩٦٤ هيكون جئامد ، وكان هذا اقصى اختبار ، ... لابد من الصمود أو يجرف الفيضان كل شيء وكل ما بذل من مجهود لكننا صمدنا أمام الاختبار القاسى وحدثت تضحيات غالية وحقيقية .

« أنا كنت مساعد سبهاك فى اسنا ، اسمى سعد محمود محمد يشغل كهربائى فى النفق . الاول كنت فلاح ، كل ما أعرفه تعلمته فى السيد ، كل الناس الى شايدهم هنا فى النفق كانوا فلاحين واطعلموا .

السد خلاص خلص !

ومثلك والوف غيرهم .. !

قبل ان ينتهى بناء السد العالي كان قد حقق ما يقرب من تكاليف انشائه . وذلك كما يقول اكثا الخبراء المصريين . كان قد تم اغلاق مجرى النهر فى ١٥ مايو عام ١٩٦٤ ، ومن ثم بدأت الاستفادة من مشروع السد العالي بتحويل « تصرفات » النهر الى القناة الصناعية التى انشئت بالبر الشرقى ، وجاء فيضان عام ١٩٤٦ « خارقا فى الارتفاع » كما تتول دراسة للمهندس محمد عبد الرقيب وزير الرى الأسبق فأمكن للسد أن يحتجز كميات المياه الهائلة الزائدة عن أقصى حد تستطيع البلاد مقاومتها .

ولولا ذلك لتعرضت مصر لمخاطر جسيمة لا يمكن تقدير مداها « لكن فيضان الأعوام ١٩٦٥ - و ١٩٦٦ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ، كلها كانت منخفضة بشكل ملحوظ ، ولولا وجود السد العالي لتعذر ملء الحياض وتعذرت الزراعة بالتالى .

وفي ٩ يناير عام ١٩٦٨ احتفل بتشغيل التوربينات الثلاثة الاولى من محطة توليد الكهرباء وفي ٢٣ يوليو عام ١٩٧٠ تم تشغيل التوربين الثانى عشر وتمت أعمال السد والسكارة القاطعة .

وفي الخامس عشر من يناير عام ١٩٧١ احتفل رسميا بانتهاء العمل فى المشروع بحضور الرئيس انور السادات والرئيس نيقولاى بوجورنى ، حيث اصدرا بيانا رسميا عن اتمام بناء السد العالي فى موعده .





General Organization of the African ...
Sub-Saharan Commission ... (GOAL)

الجلد پنجم

« اللّين يّسون المائى سيحكم
عليهم بان يعيشوه مرة اخرى »
(جورج سنديانا)

الحملة مستمرة

لم تحط الأتاويل والشكوك بمشروع على مر التاريخ كما أحاطت بالسد العالي ، سواء عندما كان مجرد فكرة على الورق ، أو أثناء الإعداد لتنفيذ الفكرة على الطبيعة أو حتى عندما أصبحت بعض مزاياه مرئية ومحسوسة ، أيا كانت النقائص في وسائل الإنفاذه من هذه المزايا .

ولم تزيغ السياسة التكنولوجية كما زيفتها لدى بعض « الخبراء » ، عندما يتحدثون عن السد .

وعندما كان المفترض أن يساهم البنك الدولي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في اقامة السد أثبتت البحوث الغربية انه مشروع سليم مائة في المائة ولا غنى عنه للاقتصاد المصرى ، وأن مردوده الاقتصادى بلا حدود . وعندما نكست الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عن المساهمة في السد لأسباب سياسية بدأت تظهر « ميوب » و « مخاطر » المشروع ، بل ظهر

ان مستر دالاس الشهير أكثر حرصا على مصالح الشعب المصرى
من أى زعيم أو خبير مصرى !

لكن عندما فوجئت الولايات المتحدة بأن مساهمة الاتحاد
السوفييتى فى السد العالى مسألة جدية ، وانها لم تكن خدمة
أو مناورة من جانب عبد الناصر أو السوفييت — كما فهم دالاس
خطأ من تصريح لشييلوف وزير الخارجية السوفييتى بأن الاتحاد
السوفييتى يهتم بالمشروعات الصناعية فقط ! — عندما فوجئت
واشنطن بالموقف ، أعلنت مرة أخرى على لسان الرئيس ايزنهاور
استعدادها للمساهمة فى المرحلة الثانية للسد ، ونسيت تماما
كل « عيوب » و « مخاطر » المشروع ، وكل ما يتعلق بمصالح
الشعب المصرى بالتالى !

ان ما يعنينا فى هذا كله هو الوصول الى الحقيقة ، كما
يقررها غالبية ذوى الراى من العلماء والخبراء والمهندسين فى
مصر وفى العالم ، بصرف النظر عن أى خلفية سياسية . ذلك
ان الأمر لا يتعلق بموقف سياسى صائب أو خاطئ ، ولكنه يرتبط
بكارثة اقتصادية واجتماعية لو صح ان هناك آثار جانبية خطيرة
لا يمكن تلافيها بعد انشاء السد كما يزعم البعض ، ويرتبط
بكارثة « علمية » وفنية واجتماعية وخلقية أيضا لو صح ان
دوافع سياسية تخفى وراء حجج « علمية » للتشهير باتجار
هندسى وعلمى واقتصادى فى مثل ضخامة السد العالى ،
واهدار تضحيات عشرات الآلاف بل ملايين المصريين الذين
ساهموا بدرجات متفاوتة فى اقامة هذا الصرح الشامخ بمعونة
الاتحاد السوفييتى .



ماذا يقول « أعداء » السد ؟ وقيل ذلك من هم أعداء السد ؟

يقتضى التفرقة بين الذين قالوا أو يقومون بعملية
سبية شبه منظمة وتتفر الى ما تواضع عليه خبراء
في العالم من اسس فنية ، وبين اولئك المصريين
الذين تصدر ملاحظاتهم عن ايمان حقيقى بما يقولون
هموا بخطا بعض وجهات نظرهم عندما تبينوا الحقائق
فنية والعملية التى تدحض وجهات نظرهم .

هنا يمكن ان نجعل كل ما قيل من ملاحظات ضد
مد العالى ، سواء اتخذت صورة نقد علمى وفنى أو
تتشكك سياسية فيها يلى :

سوء الطمى فى حوض الخزان ، واثره على خضوبة
يرامية .

مخر فى مجرى النيل خلف السد العالى واثره على
الطر الكبرى .

كل شواطئ الدلتا .

تبخر والتسرب فى حوض الخزان .

منظم فى ملء بحيرة ناصر ، على غير المتوقع .

زيادة الملوحة فى الاراضى المزروعة .

انتشار الامراض المتوطنة كالبلهارسيا .

نقص الثروة السمكية (كالسردين) .

براسة اصدرها المهندس محمد عبد الرحمن وزير الري
ش بشكل مستفيض كل هذه الملاحظات على ضوء
طبية والفنية التى اجراها الخبراء المصريون والاجانب
ربا (وخلص الى النتائج التالية :

أولاً - رسوب الطمي :

• عند بدء دراسة مشروع السد العالي، اتجهت أنظار الخبراء نحو إجراء البحوث العلمية المستفيضة في شأن طمي النيل ، وتأثيره في خصوبة الأرض ، وقد أسفرت البحوث عن الحقائق الآتية :

١ - أن ما يربو على ٨٨٪ من طمي النيل كان يتدفق إلى البحر كل سنة .

٢ - وبالتالي فإن تأثير السد العالي على حرمان الأراضي المزروعة من الطمي لن يتعدى ١٢٪ من كميته في أسوأ الظروف، وقد توقع الباحثون أن الذرات الرفيعة من الطمي ستظل عالقة بالمياه المنطلقة من اتفانق السد ، وهذا من شأنه أن يهيئ بهذه النسبة القليلة الى نحو ٩٪ فقط من كمية الطمي الذي يحمله النهر .

٣ - وقد ثبت أيضاً أن أراضي الحياض بالوجه القبلي كانت بسبب انغمارها بمياه الفيضان تستأثر وحدها بنحو ثلثي كمية الطمي الذي يرسب فوق الأراضي المزروعة ، وهنا ينبغي ألا يغرب عن البال أن أي بحيل لمشروع السد العالي ، كان لابد أن يأخذ في اعتباره تحويل الحياض الى الري الدائم على أساس أنه المشروع الأول في مجال تنمية الانتاج - الزراعي راسياً .

٤ - وتعرض البحث للقيمة الغذائية لطي النيل ممثلاً في كمية ما يحتوي عليه من الأوتو ضمن ما يحمله من مواد عضوية ولقد تبين أن نسبة الأوتو لاتتعدى نحو ١٣٪ من وزن الطمي فضلاً عن أن الجزء المصالح لقذاء النبات من هذه النسبة لايتجاوز الثلث .

٥ - وانتهى البحث الى أن كل ما سوف تخسره الأراضي المزروعة في مصر من الأرزوت الذى يحمله طمى النيل لا يعدو نحو ١٨٥٠ طن يمكن تعويضها بنحو ١٣٠٠٠ طن مهاد نترات الجير قيمتها ٣٤٦٠٠٠ جنيه .

٦ - وأنه لا وجه للمقارنة بين هذا المبلغ الزهيد وبين انعائد الضخم من مشروع السد العالى وأنه نكتفى بأن نجعل المقارنة محصورة في مزايا الطمى واضرارها ، وحسبنا أن نقول في هذا الصدد أن رسوب الطمى في قيعان الترعى وجوانبها يكلف الدولة كل عام ما يزيد على ثلاثة أضعاف ما تكتسبه الأرض من رسوب عليها .

٧ - والواقع أن الطمى كان مشكلة قبل السد العالى ، لا من ناحية رسوبه في الترعى فحسب ولكن - أكثر من ذلك - من ناحية القيود التى كان يفرضها على مشروعات التوسع في التخزين المسمى المحدود - السعة ، وقد أزاح السد العالى هذه المشكلة ، بتضحية طفيفة مقدور عليها لا يجوز بحال أن تدخل في الحساب .

٨ - وإذا كان الكتاب في الخارج ، مؤزمجين لحرمان الأرض من رسوب الطمى فما بالهم لا يرثون لحال الدول التى تزدهر فيها المحاصيل دون أن يعكر الطمى لون المياه الجارية في أنهارها .

٩ - أن الأراضي الزراعية في مصر رغم حرمانها من هذا القدر الضئيل من غذاء الطمى قد زادت غلتها نظرا لما وفره لها السد العالى من تحسين في ظروف الري في المواعيد وبالكميات المناسبة على مدار السنة وتحسين في وسائل الصرف بتخفيض

مستوى المياه الجوفية — والأرقام التالية تبين مقدار الزيادة في محصول الفدان من القطن والقمح في بعض أراضي الوجه القبلى قبل وبعد انشاء السد العالى :

متوسط المحصول عام ١٩٧١	متوسط المحصول من ١٩٦٠ الى ١٩٦٥
أردب ١٠.١٣	اسيوط : قمح ٨٣٧
قنطار ٦.٠٣	قطن ١٦٥
أردب ٨.٥٠	سوهاج : قطن ٧٧٠
قنطار ٦.٦٦	قطن ٧٧٢
أردب ٦.٨٣	قنا : قمح ٦٢٨
قنطار ٤.٣١	قطن ٤٥٤

ثانياً — النحر في المجرى :

تدر الباحثون في مشروع السد العالى — فى مستهل دراسته — احتمال حدوث نحر فى مجرى النهر ، على امتداد المسافة بين اسوان والقاهرة بسبب انطلاق المياه من انفاق السد خالية — لحد ما — من كميات الطمي التى القت بها فى حوض الخزان .. وقد خرجوا من دراستهم لهذه الظاهرة بالنتائج الآتية :

١ — أن لكل نهر طبيعة خاصة يصعب معها التكهن بمدى الخطورة التى يمكن لهذه الظاهرة أن تؤثر بها فى مجرى النهر وفى سلامة القناطر القائمة عليه .

٢ — أن حدوث هذه الظاهرة يتوقف على اساس سرعة المياه ، وبالعالى على مقدار التصرف المنتظر انطلاقه من انفاق السد العالى .

٢ - ان أعلى تصرف متوقع لمواجهة اقصى الاحتياجات المائية بعد السد العالى انها يدخل فى حدود التصرفات المأمونة التى لا تقوى على تحريك رمال القاع والجوانب .

٤ - ان الاضطراب فى ظروف الطوارئ ، وفى ظروف الفيضانات العالية المتتالية ، الى اطلاق تصرفات اضافية تأخذ سبيلها الى البحر ، انها يدخل فى حدود الاحتمالات البعيدة .

٥ - ان مواجهة اية بادرة لظاهرة النحر رهينة يانشاء سلسلة من القناطر الجديدة عبر النهر تتوسط اجباسه الحالية فيما بين أسوان والقاهرة من شأنها العمل على تقليل انحدارات المياه فى النهر فتقل سرعتها وتصبح غير قادرة على نحر المجرى ، وبذلك يمكن ضمان سلامة القناطر الحالية والمستجدة .

٦ - ان توليد الطاقة الكهربائية من القناطر المقترحة والقناطر الحالية فى مدى سقوط يبلغ فى جملته نحو ٧٠ مترا ، انها يدر عائدا اقتصاديا يبرر وحده تكاليف انشائها .

٧ - ان الخبرة المستمدة من تشغيل سد أسوان القديم ، وانطلاق المياه من تحتاته رائقة نسبيا ، لمدة ستة أشهر سنويا انها تؤيد جانب التناول الذى جنح اليه الباحثون .

ولقد دلت التجربة الفعلية على صحة هذا التقدير - فالىوم بعد انقضاء سبعة أعوام على تشغيل السد العالى لم تحدث تلك الظاهرة الا نحرا طفيفا لا يتجاوز عمقه بضعة سنتيمترات ولا يشكل خطرا على سلامة القناطر على الرغم من انه فى مرحلة ما بعد قتل مجرى النهر كانت تمر خلف السد العالى تصرفات عالية اما لعلو تصرفات الفيضان او لصرف مياه زائدة

للماء الحياض الباقية التى لم يكن قد تم تحويلها فى ذلك الحين — لذلك فقد وصل أقصى تصرف للمياه عام ١٩٦٤ الى ما يزيد عن ٩٠٠ مليون متر مكعب فى اليوم وفى عام ١٩٦٥ الى ٥٠٠ مليون متر مكعب — أما فى عام ١٩٦٨ والأعوام التالية فنانه بالنسبة لاستكمال بناء جسم السد وانتهاء العمل فى تحويل اراضى الحياض البحتة — التى كانت تستلزم تصرفات عالية للملئها — فقد بدأ حجز مياه الفيضان الزائدة عن حاجيات الري ولم تزد تصرفات المياه خلف السد عن مقدار هذه الحاجيات .

وبمعنى آخر فقد بدأ التخزين المستمر فى بحيرة السد العالى منذ فيضان عام ١٩٦٨ مع صرف حاجيات الري التى لا تزيد أقصاها عن ٢٥٠ مليون متر مكعب فى اليوم خلف السد — وقد ظهر من الارصاد واعمال الرقابة التى أجريت بصفة مستمرة منذ ذلك التاريخ ان حالة قاع النهر أخذت فى الاستقرار .

ومع كل ذلك ، ستظل الرقابة على النهر مستمرة على طول مجراه بين أسوان والقاهرة للتعرف على ما يحدث حدوده من تغيرات فى مناسيب قاعه حتى يمكن اذا ما ظهرت أى بادرة يخشى منها على سلامة القناطر الحالية درء الخطر فى وقت مبكر، والاطمئنان الى أن النهر قد وصل بالقطع الى نوع من التوازن والاستقرار .

ونعود للقول بأن الخطر غير قائم فى الوقت الحاضر ، وأن مواجهته — اذا حدث — مقدور عليها بأعمال هندسية لها فى حد ذاتها من العائد ما يضيف كثيرا الى العوائد الضخمة التى يدرها مشروع السد العالى .



ثالثا - تآكل الشواطئ :

تآكل الشواطئ ليس جديداً. على الخبرة المصرية ، فقد صادفنا الكثير من مشاكله قبل التفكير في بناء السد العالي ، وكانت تتخذ الطول - الوثائية لوقف هذا التآكل ، والعادة أن يمثل الشاطئ والتيارات المؤثرة فيه في شكل نماذج صغيرة تجري عليها التجارب المعملية . فالموضوع لا يفر فزعا بصورة أو أخرى، وأساليب المتأومة مألوفة في أنحاء العالم ، بل أن دولة كهلندا لم تواجه التآكل بحسب ، وإنما أضلفت لرفعتها المزروعة مساحات طائلة كان يحتويها البحر .

رابعا - التبخر والتسرب في حوض الخزان :

المعروف أن كفاءة التخزين تقاس بنسبة ما يفقده حوض الخزان من المياه المخزونة بسبب عامل التبخر والتسرب . لذلك كان موضوع الفوائد من حوض السد العالي على رأس المسائل التي تعرض لها خبراء الهيدرولوجيا قبل البت في صلاحية المشروع . حيث انتهوا من واثع الخبرة المستمدة من سد أسوان القديم ، الى أنه من جملة سعة التخزين في حوض السد العالي ومقدارها نحو ١٦٤ مليارا من الأمتار المكعبة لن يتجاوز معدل الضائع بالتسرب مليارا واحدا والضائع بالتبخر تسعة مليارات في السنة .

والواقع أنهم كانوا في تقديراتهم النظرية أكثر تشاوما مما سجلته التجربة العملية للأسباب الآتية :

١ - فيما بين عامي ١٩٦٠ ، ١٩٦٤ أجريت التجارب على الطبيعة لقياس مقدار النفاذية في الحجر الرملي النوبي المكون لقاع البحيرة وجوانبها باستخدام الأخرام الاختبارية العميقة

وقد دلت التجارب منذ بدء التخزين في عام ١٩٦٥ على أن معامل النفائية منخفض جدا بما هبط بالتقدير السابق للتسرب عندما يكون الخزان مملوءا لغايته لأقصى درجة الى اقل من مليار من الامتار المكعبة .

٢ - وعندما ارتفع منسوب المياه بالبحيرة الى حوالي ٤٥ مترا فوق منسوب التخزين في خزان أسوان القديم لم يظهر اثر لاي منطقة ضعيفة يمكن أن تتسرب المياه منها بشكل يثير الانتباه .

٣ - كما دل البحث على أن ثمة مواد مضغوطة تها انشقوق الموجودة في حوض الخزان بحيث يقل معامل النفائية فيها عنه في الصخر السليم نفسه .

٤ - وعند قياس الفواقد الفعلية من حوض الخزان في خلال السنوات السبع الماضية ، بمقارنة الانصرفت عند مدخل الخزان ومخرجه ، ثبت بالقطع أن الفواقد الفعلية تقل من تقديراتها النظرية كما يتضح من الجدول الآتى :

الفاقد من خزان السد العالي

بالمليار متر مكعب

السنة	أقصى منسوب للتخزين متر	مجموع الفواقد الفعالية من الخزان بمليار م ^٣	الحساب النظم للفواقد بالتدوير والتسرب مليار
قبل انشاء السد العالي	١٢٠	—	—
١٩٦٤ — ١٩٦٥	١٢٧٦٠	٣٤٨	١٠٢٣
١٩٦٥ — ١٩٦٦	١٢٢٧٠	١٠٥٣	١٨٤٧
١٩٦٦ — ١٩٦٧	١٤٢٤٨	١٣٦٠	٢٨٦٩
١٩٦٧ — ١٩٦٨	١٥١٢٧	٥١٨٠	٦٩١٢
١٩٦٨ — ١٩٦٩	١٥٦٥٥	٨٣٦٢	٩٨٠٧
١٩٦٩ — ١٩٧٠	١٦١٢٩	٨٢٧٦	٩٦٩٤
١٩٧٠ — ١٩٧١	١٦٤٨٨	١١٤١٧	١١٧٧٠

خامسا - ملء بحيرة ناصر :

يستطيع الناقدون في بعض الصحف الأجنبية ملء بحيرة ناصر زاعمين انه كان مقدرا أن تصل الى كامل سعتها في عام ١٩٧٠ . وإذا دل هذا النقد على شيء فطلى أن أصحابه أبعد ما يكونون عن العلم بوظيفة السد العالي أو بأسس ملئه وتشغيله . فقد أنشئ المشروع الكبير لأغراض التخزين المستمر الذي يلجأ من فائض السنين العالية لصالح السنين الشحيحة الأيراد . وهو بهذا الوصف متقلب السعة متذبذب المنسوب ، فيتراكم في حوضه الفائض عن احتياجات الزراعة سنة بعد أخرى ، ليتكون منه رصيد يضمن تعويض النهر إذا جرى مرة بالعجز والنقصان . واذن فالوصول بالخزان لكامل سعته رهن بإيراد النهر في السنين القادمة ولا يستطيع عاقل أن يتنبأ بحجم الأمطار التي ينتظر هطولها على منابع النيل في مواسمها المقبلة .

وهنا يثور سؤال ، لماذا نتعجل ملء الخزان كله في وقتنا الحاضر ، ان تشغيل البحيرة لأغراض التخزين المستمر مبنى على أساس تذبذب منسوبها ما بين ١٤٧ مترا و ١٧٥ مترا . وقد تم ملؤها المنسوب ٦٤ و ١٦٧ مترا ، نفيم القلق إذن ، إذا كانت أغراض الزراعة والكهرباء مكمولة ومضمونة ومأمونة ؟

ويوضح الجدول الآتى المناسب الذى بلغت بحيرة السد العالي في كل عام منذ بدء تخزين المياه بها عام ١٩٦٤ حتى الآن .

وهذه المناسب تتفق مع كل ما كان مقدرا من قبل ان تصل اليه مناسب البحيرة خلال تلك السنين مع الأخذ في الاعتبار

التاريخ	أعلى منسوب للمياه إمام السد العالي بالتر	محتويات البحيرة (مليار متر مكعب)
١٩٦٥/١/١٨	١٢٧٩٠	٩٣٨٠
١٩٦٦/١/ ١	١٣٢٧٠	١٣٩٦٥
١٩٦٧/٢/ ٤	١٤٢٤٨	٢٥٥٦٧
١٩٦٨/١/٢٨	١٥١٢٧	٤١١٥٧
١٩٦٩/١/ ٧	١٥٦٥٥	٥٢٩٤٤
١٩٦٩/١٠/٢٣	١٦١٢٩	٦٦٥١١
١٩٧٠/١٢/ ١	١٦٤٨٨	٧٨٥٢٠
١٩٧١/١٢/١٦	١٦٧٦٤	٨٨٨٨٠

ظروف تقدم العمل في انشاء السد وظروف انقاذ معابد أبو سبيل - اذا كان مقدرا ان يصل منسوب المياه في البحيرة في اواخر ديسمبر سنة ١٩٧١ الى درجة ١٦٨١٠ متر اذا توالى سلسلة من تصرفات النهر العالية والى درجة ١٦٠٧٠ مترا اذا توالى مستين منخفضة بينما بلغ المنسوب القلى في هذا التاريخ ١٦٧٦٤ مترا .

سادسا - زيادة الملوحة :

الذين يخشون زيادة الملوحة ، انما يتكرون وظيفة الصرف ربما كان للنقد وجهاته لو أن الدولة كت من نشر شبكة كاملة لصرف مياه الري من جميع الاراضى الزراعية ، ولكن الواقع ان تثبيتها يجرى على قدم وساق وفق برامج موضوعية

ومشروعات مرسومة .. وأكثر من ذلك يسهم صندوق النقد
الدولى فى تمويل هذه البرامج .

سابعا - الأمراض المتوطنة :

فى غمار النيش من أى نقيصة يمكن لصقها بمشروع السد
العالى ، ، تحدثت الصحف المعادية فى الخارج ، عن مرض الملاريا
واحتمال انتشاره حول بحيرة ناصر ، وعن مرض البلهارسيا
واحتمال توطنه فى مناطق الحياض المحولة للرى الدائم .

أما عن بعوض الملاريا فقد صدر فى شأنه حديث رسمى من
انجهاث المسئولة عن الصحة العامة يفيد نظافة بحيرة ناصر من
أى اثر لهذا البعوض الناقل .

وأما عن مرض البلهارسيا ، فالمعروف أن توطن فى أقاليم
الدلتا منذ أن انتشر فيها نظام الرى الدائم ، ولذلك بادرت
وزارة الصحة الى اتخاذ كافة الاجراءات الوقائية الحديثة لمقاومة
القواقع فى مناطق الحياض المحولة بالوجه القبلى .

ثامنا - الثروة السمكية :

من أغرب ما نعتة الأبواق الخارجية على مشروع السد
العالى ، أنه حرم اسراب السردين من العناصر الغذائية التى
كان يحملها طمى النيل ويلقى بها عند شواطئ الدلتا . ووجه
الغربة أن تكون ثبة متسارئة بين الآثار المترتبة على هجرة
السردين ، وبين المزايا المترتبة على مشروع ضخم يكفل القوت
والرخاء للشعب بأسره .

ووجه الغربة أيضا أن تتجاهل تلك الأبواق أن المشروع

نفسه قد أنشأ بحيرة في حوضه مساحتها نحو ٦٠٠٠ كيلو متر مربع زاخرة بالثروة السمكية التى ينتظر أن تحقق انتاجا يقدر بنحو ١٦٠٠٠ طن فى السنة .

وعلى الرغم من هذا فقد ظهر من البوادر ما يشير الى عودة انسردين الى بعض المناطق الشاطئية ، الى جانب أن أساطيل الصيد الحديثة تعمل على تعتيه فى مواقعه الجديدة .

أن المشروع قد حقق فى عام ١٩٧٠ دخلا يقدر بنحو ١٢٥ مليون جنيه وأن هذا الدخل سوف يتزايد عاما بعد عام ليصل الى نحو ٣٣٥ مليون جنيه سنويا عندما يتم الانتفاع الكامل بالمشروعات المترتبة عليه ، وبذلك تبلغ نسبة عوائده السنوية الى جملة تكاليفه نحو ٤٠٪ وهى نسبة لا يحظى بها أى مشروع آخر .

واذا كان البعض ينكر ثمانى حجج واهية ضد السد فيها هى ذى ثمانية نتائج ايجابية راسخة للسد العالى :

١ - زيادة الرقعة الزراعية بنحو ١٣ مليون فدان جديدة .

٢ - تحويل حياض الوجه القبلى ومساحتها نحو ٧٥٠ ألف فدان الى الرى الدائم .

٣ - توليد طاقة كهربائية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلوات ساعة سنويا .

٤ - ضمان زراعة الأرز فى مساحة تبلغ نحو مليون فدان سنويا .

٥ - وقاية البلاد من أخطار الفيضانات العالية .

٦ - تحسين حالة الصرف بالأراضى الزراعية لاسيما فى الوجه القبلى .

٧ - تحسين سبل الملاحة بمجرى النيل على مدار العام فيما بين أسوان والقاهرة (١٠)

٨ — ضمان الاحتياجات الكاملة للأراضي الزراعية في كل السنين .

ويؤكد المهندس أحمد على كمال وزير الري الحالي والذي عمل مقرا للجنة التي شكلتها أكاديمية البحث العلمي لبحث الآثار الجانبية لإنشاء السد العالي : أن بقاء السد كان ضرورة حتمية فرضتها الظروف نتيجة الزيادة المطردة في عدد السكان وضرورة توفير الغذاء للأجيال القادمة . ويقول أن انخفاض الفيضان عام ١٩٧٢ (كما حدث عام ١٩١٣) لم يشعر به أحد . ولولا السد العالي لحدثت كارثة . اننى أقدر — كما يقول — الخسائر والأضرار التي حلتنا منها السد في تلك السنة بأكثر من كل تكاليف إنشاء السد .

أما المهندس إبراهيم زكى قنلو وزير الاسبق فيضيف أن المطامع العالمية أخرجت عشرات الكتب عن الآثار الجانبية للسدود وكيف نتجنبها وذلك لكى تسترشد بها مختلف الدول والهيئات فى العالم « ولذلك فليس هناك جديد فى كل ما يثار حول السد ، لان شيئا منها لم يكن غائبا عن الخبراء الذين اعدوا الدراسات واشرفوا على البحوث وقاموا بالتنفيذ .

لكن أحد كبار المهندسين المصريين الذى انتقل الى رحمة الله اثار قبل وفاته ضجة هائلة خارج مصر للأسف ، وتولى بعض غير المختصين الذين دأبوا على خلط السياسة (التى يعرفونها) بالتكنولوجيا التى يجهلوننها ، متابعة جهود المهندس الراحل فى إثارة الضجيج . والمهندس هو المرحوم الدكتور عبد العزيز أحمد ، الذى قيل أنه لم يستطع بسبب « الطغيان » أن يطلع وجهة نظره ضد السد العالي فى مصر فاضطر الى إعلانها فى بريطانيا !

لقد كان عبد العزيز أحمد مهندساً للكهرباء ويعد من الخبراء في هذا المجال . وكان ينظر إليه باحترام خاص بوصفه أول أو من أوائل الذين حصلوا على الدكتوراه في هذا المجال من إحدى الجامعات البريطانية . ورغم أنه لم يكن خبيراً في الري أو السدود إلا أن وجهة نظره حظيت بكل ما تستحقه من مناقشة وبحث . ويروي المهندس يوسف سمكة مستشار وزارة الري تفاصيل ما حدث بالنسبة لما أثير حول وجهة نظر الدكتور عبد العزيز أحمد .

يقول المهندس سمكة : وصلتنا دراسة باسم الدكتور عبد العزيز أحمد ينتقد فيها مشروع بناء السد . وعندما مرضتها على الوزير موسى عرفة أقترح أن ندعو الدكتور عبد العزيز أحمد ونناقشه فيها وتشكلت لجنة من الوزير موسى عرفة والمهندس أحمد كمال (وزير الري حالياً) والمهندس يوسف سمكة في عام ١٩٥٧ . ووافق الدكتور عبد العزيز على أن يناقش اللجنة في بحثه . وبعد مناقشة مستفيضة وحرّة كما يقول المهندس سمكة اقتنع الدكتور عبد العزيز بأن وجهة نظره خاطئة وقال أنه كان قد أعد هذه « الورقة » في الأصل لكي يناقشها في جمعية المهندسين البريطانيين ، لكن بعد اشتراك بريطانيا في العدوان الثلاثي عدل عن فكرة مناقشتها مع المهندسين البريطانيين .

وهنا سأل موسى عرفة : بعد أن اقتنعت كما تقول أن وجهة نظرك خطأ من الناحية العلمية هل ترى هناك ضرورة للاحتفاظ بهذا البحث ؟ قال د. عبد العزيز أحمد : ليست هناك أي ضرورة . قال موسى عرفة : هل أطمع في أن نتسلم كل نسخ هذه الدراسة واحتفظ بها لكي لا تستغل من جهات سياسية أجنبية معادية ؟

وعندئذ تلقى الدكتور عبد العزيز أحمد دون تردد ووعد بحضور كل ما لديه من النسخ وسلبها الى المهندس موسى مرمره ، الذي احتفظ بها في مكتبه .

ويكمل المهندس يوسف سمكة روايته :

« فوجئت بعد فترة بتلقى رسالة باسمى من جمعية المهندسين البريطانية ، مرفق بها نسخة من بحث الدكتور عبد العزيز أحمد ، مع دعوة لى بحضور المناقشة التى ستجريها الجمعية البريطانية لبحث الدكتور عبد العزيز أحمد حول السد العالى . وبالفعل ذهبت ممثلا لمصر واشتركت فى المناقشة مع حوالى ثلاثين خبيرا بريطانيا وعالميا كما اشترك الدكتور عبد العزيز فى الدفاع عن وجهة نظره . وانتهت المناقشة دون ان يؤيد خبيرا واحدا من المجتمعين وجهة نظر الدكتور عبد العزيز أحمد .

ان ما يؤكد هذه الرواية شهادة ماثلة لاحد اصحاء الدكتور عبد العزيز أحمد وهو المهندس على فتحى (سابقا مدير خزان أسوان ووكيل مصلحة الطبيمات واستاذ بكلية الهندسة جامعة الاسكندرية) . والمهندس على فتحى له أيضا تحفظات فيما يتعلق بالسد العالى والآثار الجانبية المترتبة على انشاؤه ، وقدم أكثر من فكرة فى هذا الشأن ، كما شارك فى اللجان التى تبحث كيفية مواجهة هذه الآثار .

وقد سجل المهندس على فتحى ملخصا لوجهة نظر الدكتور عبد العزيز أحمد وهى كما يلى :

« قام المرحوم الدكتور عبد العزيز أحمد فى اواخر الخمسينيات بدراسة مفصلة لوقائع التسرب المحتملة من خزان

أسوان السد العالي اذ نفذ المشروع وفقا للتصميمات المقترحة
وخلص من تلك الدراسة الى النتائج التالية :

١ - انه يوجد اتصال بين حوض الخزان وبين طبقات
الحجر الرملى النوبى الحاملة للمياه بالصحراء الغربية . وان هذا
الاتصال يترتب عليه مكاسب فى ايراد النهر بين حلفا وأسوان
بالتسرب من الخارج الى الداخل عندما يكون منسوب المياه فى
تلك المسافة منخفضا ويترتب عليه خسائر بالتسرب الى الخارج
اذا كان هناك تخزين على منسوب عال .

٢ - انه فى السنوات العشرين التالية لبدء تشغيل الخزان
لن يتيسر ملئه للمنسوب المقرر الا بحجز الایراد كله ، لان
فوائد التسرب ستكون كبيرة جدا ، وستصل الى ٢٤ مليار فى
السنة اذا كانت سعة الخزان ١٠٠ مليار .

٣ - انه فى السنوات العشر التى تلى العشرين الاولى
(بافتراض انه امكنا ملء الخزان بطريقة ما) سينخفض معدل
الفاقد الى ٦٨ مليار سنويا بسبب تشبع الطبقات الحاملة للمياه
وانسداد - فراغاتها جزئيا بالطمي الذى ينزل الى حوض
الخزان مع الفيضان .

٤ - انه بعد مرور السنوات العشر المذكورة سيكون
متوسط الفاقد ١٧ مليار سنويا . وفى ضوء تلك النتائج
وجدا الدكتور عبد العزيز احمد انه من الأفضل توزيع التخزين على
عدة خزانات صغيرة نسبيا تقام على مجرى النيل بين عطبرة
وحلفا بدلا من الاعتماد على خزان واحد كبير .

وقد بنى الدكتور عبد العزيز احمد استنتاجاته على مقارنة
بين التصرفات الداخلة والخارجة من خزان أسوان القديم حسب
تقديرات مصلحة الطبيعيات .

ويقول المهندس على فتحى أن ملاحظاته على استنتاجات الدكتور عبد العزيز أحمد هي :

أولا : ان تقديرات إيراد النهر الطبيعى عند أسوان (التى كانت تنشرها مصلحة الطبيعيات تحت إشراف مديرها السابق الدكتور هرس) حسبت بطريقة خاطئة ، يترتب عليها ظهور خسائر وهمية فى الإيراد . وهذا يعنى ان النتائج التى توصل اليها الدكتور عبد العزيز أحمد غير صحيحة لأنها بنيت على أساس غير سليم .

ويضيف المهندس على فتحى أنه يرى أن الدكتور عبدالعزيز كان على حق فى جانب واحد من جوانب المسألة ، وهو أن التخزين العالى فى منطقة جافة مثل أسوان قد يترتب عليه ضواقد كبيرة تقلل كثيرا من قيمته .

وفىما يتعلق بهذه المسألة الأخيرة التى يتفق فيها على فتحى مع عبد العزيز أحمد فقد سبق أن تناولها المهندسون والخبراء كما رأينا فى الصفحات السابقة ، واثبتوا نظريا وعمليا عدم صحة ودقة التقديرات التى أدت الى هذا الاستنتاج .

يرأى الخبراء الأمريكين

فى نوفمبر ١٩٧١ زار السد العالى ثلاثة من كبار المهندسين الأمريكين هم : مستر وليم ه . وايزلى مدير جمعية المهندسين المدنيين بالولايات المتحدة .

الدكتور وليم ل . هيوز رئيس قسم الهندسة الكهربائية بجامعة اكلاهوما .

السناتور هنرى ل . بلمون عضو المجلس الأمريكى .

ويعد انتهاء الزيارة والمهم بالإبعاد الكاملة للمشروع دون
اثنان منهم انطباعاتهم الصامة وتعليقاتهم على ما أثاره البعض
من شكوك حول الآثار الجانبية المترتبة على تنفيذه .

قال وليم وايزلى مدير جمعية المهندسين الأمريكية في بيان
تحت عنوان : « الناس وتأثير البيئة والسد العالي » :

« أن هناك اليوم اهتماما كبيرا في الولايات المتحدة لتقييم
الآثار البيئية والاجتماعية والاقتصادية في التخطيط الهندسى
للمشروعات الكبرى بصفة عامة .

لذلك فإن هذه الفرصة بزيارة السد العالي تهيم المشاركة
في استعراض هذا المشروع الضخم من ناحية تأثيره على الناس
والبيئة . أن العديد من المتحفظين والصحفيين اثاروا اعتراضا
على بعض الآثار الجانبية للسد العالي من بينها ما يلى :

.. الشك في أن بحيرة السد العالي ستمتلئ ، بسبب
ارتفاع نسبة الفاقد بالتبخر والتسرب .

.. ترسيب الطمي بكميات كبيرة في البحيرة مع فقدان
الخصوبة التى كانت تتمثل في رسوب الطمي على الأراضى التى
كانت تغمرها مياه الفيضانات السابقة .

.. النحر الزائد عن الحد في مجرى النهر ومنطقة الدلتا .

.. خلق ظروف مواتية لانتشار البلهارسيا والملاريا .

.. زيادة الملوحة في التربة .

.. انتقال مواعيد صيد السردين وابتعادها عن مناطق
مطبات النيل في البحر الأبيض المتوسط .

وقد أوجز المهندس وايزلى رده على هذه النقاط فيما يلى :

**** معدل ملء بحيرة السد العالي :**

يجب ملاحظة أن الفرض من بحيرة ناصر أنها هو تخزين مياه الفيضانات النيل لتكون مصدرا مستمرا وثابتا لرى الاراضى الزراعية وتوليد الكهرباء — وان ملء البحيرة حتى الان يتم كما كان متوقعا — كما أنه اتضح من الرقابة على ملء البحيرة خلال السنوات الستة الماضية أن معدلات الفاقد بالتبخر والتسرب لا يتجاوز الحدود المقدرة لها فى التصميم وأنه حتى الآن لم تظهر أى مناطق ضعيفة تسرب منها المياه بفناء البحيرة .

**** الاطمئنان :**

من بين مجموع الستين مليون طن من الطمي التى كانت تحملها مياه النيل كل عام كان نسبة ما يذهب منها الى البحر مع مياه الفيضان ٨٨٪ — ونسبة ما يرسب منها على الاراضى ليكسبها خصوبة ٩٪ فقط أى حوالى ٤٠٠ مليون متر مكعب — وتقدر الخسارة من عدم ترسيب الطمي على الاراضى بعد السد العالي بما يعادل ١٣٠٠٠ طن من سماد نترات الكالسيوم فى السنة — وقد اتضح أن تكاليف تسميد الاراضى بهذه الكمية الاضافية من السماد يقل عما كانت تتكلفه عمليات تطهير ترع الرى من الطمي الذى كان يرسب بها أثناء الفيضانات .

ومع تخزين المياه سيرسب الطمي فى الاحباس العليا من بحيرة السد العالي وسيسمح تصميم سعة البحيرة بتخزين ٣٠ مليار متر مكعب من الطمي وتكفى هذه السعة لرسوب الطمي لمدة خمسمائة عام .

***** النحر خلف السد :**

أحدثت فيضانات النيل كل عام حالة عدم استقرار في شواطئ النهر بسبب النحر — وفي الوقت الحاضر تمر المياه خلف السد العالي خالية من الطمي بسرعة كبيرة ولكن مدى التغير في التصرفات كل عام قد انعدم — وفي مثل هذه الظروف المستقرة سيتلاشى النحر تبعا لذلك وتصبح شواطئ النهر أكثر استقرارا — وسوف يمكن الوصول الى مزيد من التحكم في حالة النحر بواسطة انشاء قناطر اضافية على النيل فيها بين القاهرة واسوان .

***** الأمراض المتوطنة :**

تعد البلهارسيا والملاريا من الأمراض المتوطنة في جميع البلاد الحارة التي ينخفض فيها مستوى المعيشة والتي يعتد في زراعة أراضيها على ماء الري — وتجرى باستمرار دراسات مناطق تواجد الحشرات الناقلة لهذين المرضين — ولم تظهر حتى الآن آثار لوجود بعوضة « الانوفيليس » ببصرة ناص وبالنسبة للبلهارسيا فقد وجد أن نسبة الإصابة بها ١٨٪ ، بين ٤٠٠٠ صياد يعملون بالبحيرة .

وسوف يصبح التقدم في الاقتصاد القومي والعمل على الارتفاع بمستوى المعيشة تحسنا في مستوى الصحة العامة وسبل الوقاية من الأمراض وهذا امر له أهمية أولى في هذا الوقت الحاضر .

***** ملوحة التربة :**

أن تراكم الأملاح في التربة ناتج عن تبخر المياه السطحية بمعدلات عالية — وهذا يمكن تلافيه بتهيئة الوسائل اللازمة لصر،



المياه من التربة وفي ذلك فائدة أخرى هي التعجيل باملاحة المد
الجوفية الى النهر - ولدى وزارة الري في مصر برنامج مست
لعمل شبكات لصرف المياه من الأراضي يساعد في تمويله صندوق
النقد الدولي .

❖ الثروة السمكية :

تسبب على ما يبدو - نقصان المواد الغذائية التي كانت
تحملها مياه الفيضان في هجرة السردين من المواقع التي يتواجد
فيها عند مصبات النيل في البحر الأبيض وقدرت في الماضي قيمة
صيد الأسماك من البحر في هذه المواقع بسبعة ملايين .
الدولارات في السنة .

ونتيجة لهجرة السردين أعيد إنشاء وسائل ومعدات
الصناعة القومية لصيد الأسماك وأدخلت عليها أحدث نظم
الصيد في المياه العميقة مما ساعد على صيد أنواع أخرى من
الأسماك بالإضافة الى السردين .

وتنتج بحيرة ناصر الآن نحو ٢٠٠٠ طن من الأسماك سنوياً
وينتظر ان يصل انتاجها الكلى الى ١٦٠٠٠ طن أو أكثر
سنوياً .

واختتم وإيزلى بيانه قائلا :

« اذا نظرنا الى السد العالي على ضوء مزاياه الحيوية
الكثيرة لشعب يحتاجها نجد ان ما يطلق عليه آثار بيئية هي بكل
وضوح آثار لامية غير موضوعية - ومع ذلك فان مركز تنم
بحيرة ناصر بمدينة أسوان قد توافرت لديه جميع التسهيلات
للقيام بالأبحاث الخاصة بتغيير البيئة في المنطقة وتجري في
الوقت الحاضر دراسات خاصة بالارتفاع بشواطئ البحيرة

ومصايد الأسماك ويبحث موضوعات الحشرات النافذة للأمراض والنحر ، وكذلك دراسات مستقلة خاصة بموضوع استقرار شواطئ البحر على الدلتا الذى ظلت مشكلته قائمة منذ أمد بعيد .

ويعتبر السد العالى ولا شك من عجائب الهندسة الحديثة والأهم من ذلك انه يلبي احتياجات الشعب كما انه يعد مشاركة رائدة بين المهن الهندسية فى كل من مصر والاتحاد السوفيتى وكذا المهندسين من بلاد أخرى شاركت فى وضع تصميمات المشروع فى مراحله الأولى وهو بذلك يضمن أحسن ما فى الفن الهندسى من إبداع وسلامة فى التنفيذ .

ولا شك انه لا يوجد مشروع هندسى آخر غير السد العالى أعطى كثيرا لعدد وفير من الناس كانوا فى أشد الحاجة الى التشجيع والمعاونة من الشعوب المتطورة فى العالم - وانه من الأفضل الذين يفلون من شأن هذا المشروع الكبير أن ينظروا اليه من الناحية الصحيحة وبالتركيز الصحيح » .

أما الدكتور وليم هيوز - أستاذ الهندسة الكهربائية بجامعة أوكلاهوما فقد قدم بيانا بعنوان « ثملات عند أسوان » وغينا يلى بعض فقرات من البيان تناولت الآثار الجانبية للمشروع ونزائاه :

« ان صحافتنا الأمريكية كانت تجنح بصفة عامة الى وصف مشروع السد العالى بأسوان بعبارات بها روح التعالى أو عبارات تقلل من شأنه - فقد سمعنا مثلا أن السد يتحرك - حقيقى انه يتحرك كما يفعل أى سد كبير آخر وهذه الظاهرة مأخوذة فى الحساب عند تصميم المشروع وسمعنا أيضا أن عدم حدوث الفيضان كل عام سيغير أحوال البيئة بالنهر وطبيعى

ايضا ان هذا سيحدث — ولكننا نضيف الى ذلك ان المش
جعل في الامكان الحصول على محصولين في السنة
محصول واحد وانه اضاف مليون فدان من الاراضي القابلة
لمساحات الاراضي المنزرعة وانه يولد قوة كهربائية م
٢ مليون كيلو وات للتعمير وكهربة الريف .. وكما
ايضا من شأنه ان يغير حالة البيئة . وعلى الجانب الآخر
الجانب اللسبى بدا ظهور بعض الأمراض كنوع من ا
يلزم لحظها اتخاذ اجراءات خاصة وهذا ما يجرى فعلا
وان يتوقف عملية غمر اراضي الدلتا بمياه الفيضان
وجوب اضافة كمية من الاسمدة الكيماوية واهمها
النترات كما وانه نظرا لعدم غرق الاهالى بعد أن
السد العالي الحماية من الفيضانات فان مشكلة تزايد ا
سوف تتفاقم قليلا — والمعروف ان التكنولوجيا تسبب
هذا النوع من التضررات الطبيعية والسيطرة على ذلك
اساسا على التأكيد ان الخير ترجح كفته على الشر والمصر
علم تام بجميع هذه المشاكل ويعملون بجدارة في
عليها .

والنظام الكهربائي في مجموعه عند أسوان يمكن
عليه بكفاءة عالية وسوف يؤدي خدمات ممتازة لسنوات
مقبلة .

ومجموعة توليد القوى الكهربائية في أسوان قد ،
بصورة تحفظية للغاية . وهذه سياسة حكيمة لاقامة مثل
الإنشاء — ومع تشغيل السد العالي بكامل طاقته تجس
عمليات خاصة بتنفيذ برنامج ضخم لكهربة الريف يد
في ظروف خمس سنوات تقريبا وهدف هذا البرة
تزويد سكان القرى بالتيار الكهربائي اللازم لاضاءة .
ورفع المياه اللازمة من النيل لرى أراضيهم وتشغيل الآلات
لتنفيذ أعمال كانوا يؤدونها يدويا .

وتستهلك المصانع الآن مقداراً كبيراً من الكهرباء وهذا الاستهلاك مطرد في الزيادة حتى أنه من المنتظر أن يصل الاستهلاك في مصر عام ١٩٨٠ إلى ما يزيد على ما في وسعها أن تنتجه من الكهرباء ولذلك نهى مثل الولايات المتحدة تبحث عن مصادر جديدة لإنتاج القوى .

إن السد العالي في أسوان هو بلا شك أحد المعجائب الهندسية الحديثة في عصرنا الحاضر ويعود على مصر بفائدة اقتصادية هائلة ومع ذلك فإن حكومة مصر دائبة على دراسة جميع نواحيه السلبية منها والإيجابية : مع مراقبتها والعمل على سرعة معالجتها .

ويلخص المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الري الأسبق كل ما يتعلق بالسد العالي في تقرير شهير يقول فيه :

✽ أن هناك إجماع علمي وهندسي على أن السد العالي بعد من أهم الإنجازات الهندسية العظمى في العالم .

✽ أن السد العالي يعد أكثر المشروعات صلاحية لضبط مياه النيل والتحكم فيها ، وأكثرها قدرة على الوفاء الكامل بتحقيق أهدافه ، كما أن من مميزات أنه مشروع مصر داخل حدود مصر .

✽ أن الحاجة كانت عاجلة وملحة لتوفير مزيد من المياه من أجل الزراعة ومواجهة الزيادة الكبيرة في السكان .

وقد تحققت كل أهداف إنشاء السد وأولها حجز مياه النيل التي كانت تذهب هباء إلى البحر كل عام . ثم امتلأت بحيرة ناصر أمام السد لأول مرة إلى نهاية سعتها المخصصة للتخزين المستمر ، حيث ارتفع منسوب المياه فيها إلى ١٧٥ متراً فوق سطح البحر . وهو الحد الأقصى الذي يفى باحتياجات الزراعة في مصر والسودان .

ثم تحققت أهداف أخرى لا تقل أهمية كما يقول المهندس أبو العطاء وهى :

✳ تحسين المناوبات الصيفية ، وضمان الاحتياجات المائية لجميع الزراعات القائمة والمستجدة .

✳ التوسع فى زراعة الأرز ، حيث بلغت المساحة المنزرعة منه عام ١٩٧٤ حوالى ١٠.٥٣ مليون فدان .

✳ التوسع فى زراعة الذرة الصفى والنيلى ، حيث وصلت مساحتها عام ١٩٧٤ الى ٢.٢٥٤ مليون فدان .

✳ تحويل الأراضى الحوضية الى الرى الدائم فى مساحة ٩٧٣ ألف فدان ، وأمكن زراعتها محصولين بدلا من محصول واحد ..

✳ اضافة مساحة جديدة من الأراضى المستصلحة بلغت ٩٣٢ ألف فدان ، موزعة على محافظات الجمهورية .. أدت الى رفع المساحة المحصولية عام ٧٤ الى ١١.٣٣ مليون فدان ..

✳ تحسين حالة الملاحة .. نتيجة لاستقرار مناسيب المياه بمجرى النيل ..

✳ بلغ صافى الدخل الزراعى عام (٦٤/٦٣) أى قبل انشاء المرحلة الأولى من السد العالى ٤٧٥.٠٠ مليون جنيه ، ارتفع الى ٧٧٥.٦٤ مليون جنيه عام ٧٠/٦٩ ، ثم وصل الى ١.٠٢١.٤ مليون جنيه عام ١٩٧٤/٧٣ ..

أى أن صافى الدخل الزراعى قد زاد منذ عام ٦٤/٦٣ الى عام ١٩٧٤/٧٣ — بمقدار ٥٤٦.٤ مليون جنيه ..

ويقدر صافى الدخل الزراعى لعام ٧٥/٧٤ بنحو ١٣١٠ مليون جنيه ..

✽ بلغت الطاقة المولدة من محطة توليد كهرباء السد العالي ، منذ بدء تشغيل أولى التربينات في أواخر عام ١٩٦٧ ، وحتى نهاية عام ١٩٧٤ حوالي ٢٢ مليار كيلو وات ساعة .. تعادل وفرا في الوقود المستهلك لتوليد الكهرباء حراريا ، مقداره ٧٤٠ مليون طن ، قيمتها ٥٥٦٨ مليون جنيه .. ويتدر ثمن هذه الطاقة بحوالى ١١١ مليون جنيه ..

✽ كان انتاج مصنع كيميا للسبام عام ٦٢ - ٦٣ (اى قبل انشاء المرحلة الاولى من السد العالي) يقدر بمبلغ ٨١٢ مليون جنيه ، وارتفعت قيمة انتاج المصنع عام ٧٠ - ٧١ الى ١٤٦٠ مليون جنيه .. كما بلغت جملة الزيادة في انتاج مصنع كيميا خلال الاموام : ١٩٦٣ الى ١٩٧١ ملا قيمته ٣٧٦١ مليون جنيه ..

✽ خلق مجال فسيح لتشغيل الآلاف من العمال .. وفتح ابواب الرزق لها .. اذ بلغت العمالة في مشروع السد العالي والمشاريع المترتبة عليه من بدء العمل حتى انتهائه ٢٤٥ مليون عامل

✽ تهجير اهالى بلاد النوبة ، الى موطنهم الجديد بكم امبو وتهيئة المجتمع المناسب لاقامتهم .. مع توفير المرافق والخدمات الضرورية لخلق مجتمع جديد متكامل ..

✽ تحسين الثروة السمكية .. والمستهدف حاليا هو رفع كفاءة انتاج بحيرة ناصر ، للوصول الى ٤٠ طن يوميا ..

✽ وقاية آثار مصر الخالدة - من غرق كانت تتعرض له مع فيضان كل عام ، ونشطت أعمال البحث والتنقيب .. ونقلت المعابد الاثرية الى حيث اصبحت بعيدة عن مياه النيل .

✽ خلق جيل من المهندسين ، والفنيين ، والعمال - المهرة

— الذين اكتسبوا خبرة وكفاءة في تشغيل وتنفيذ وإدارة المشروعات الهندسية الكبرى ..

✳ وتعد هذه في حد ذاتها ، زادا ونمرا يعين على انطلاقته أكبر ، واشمل ، في مثل هذه الأعمال الكبرى .. ليس في مصر وحدها ، وإنما على امتداد الوطن العربي والأمريقي كذلك ..

ثم يرد المهندس عبد العظيم أبو العطا مرة أخرى على جنرالات الحملة على السد قائلا « أن السد العالي لم يفقد أرض مصر خصوبتها ولم ينجر قاع النيل ولم تنهال جوانبه ولم يتصدع أو يهبط جسم السد ولم تتسرب مياهه أو يضيع مخزونه نحرا وتسريا ، كل ما تركه السد من آثار — كما يقول — وما صاحبه من ظواهر كانت أمرا طبيعيا ، بقى في حدود المسموح به ، بل وبون ذلك بكثير.

وحسبنا — كما يضيف — أن نجرى كشف حساب لجملة الاتفاق على إنشاء السد العالي والعائد على الدخل القومي بسبب أنشائه لكي نتحقق مما يثار له أو عليه :

✳ بلغ جملة الاتفاق على إنشاء السد العالي ٥٠٠ مليون جنيه ، وتشمل جميع أنشاءاته .

✳ استهدف السد العالي والمشروعات المترتبة عليه تحقيق زيادة مباشرة في الدخل القومي للبلاد قدرت بنحو ٢٣٤ مليون جنيه ، وتقدر الزيادة في الإنتاج القومي عام ١٩٧٣ بحوالى ١٠٠ مليون جنيه .

✳ لا شك أن هناك مجالا لزيادة هذا الإنتاج بعد الانتهاء من مشروعات التوسع الزراعي الأممي المستهدفة ، ورفع كفاءة

المساحة المنزرعة حاليا ، ويمد الاستفادة الكاملة من الطاقة الكهربائية المولدة من السد العالي .

.. لكن من جهة أخرى كما يذكر المهندس أبو العطا فان السد العالي كفائا أو حملا في ثلاثة أعوام من أضرار وكوارث الفيضان الخطر عام ١٩٦٤ والفيضان البالغ الخطورة عام ١٩٧٥ ومن مخاطر القحط الشديد لفيضان غاية في الانخفاض عام ١٩٧٢ .

وفي تقديره أن السد العالي جنبنا هذه الكوارث الثلاثة بما لا يقل تقديره عن عشرة آلاف مليون من الجنيهات أو عشرين ضعفا لما أنفق عليه . وكان ذلك حتى عام ١٩٧٥ أى قبل كوارث المجاعة والجفاف الحالية بعشرة أعوام !

ملحق ::

- * بيان عن اتمام بناء السد العالي .
- * خطاب الرئيس انور السادات
في المؤتمر الشعبي بأسوان
بمناسبة انتهاء العمل في بناء
السد العالي (١٥ يناير
عام ١٩٧١) .
- * خطاب الرئيس الراحل جمال
عبد الناصر أثناء الاحتفال
بتحويل مجرى النيل في
١٤ مايو سنة ١٩٦٤ .
- * بيانات عن السد العالي .

محطة القوى المائية في أسوان وثيقة اتمام وتشغيل

وقعت وثيقة اتمام وتشغيل محطة توليد
القوى في أسوان وسط احتفالات
جرت بعد ظهر يوم ١٥ يناير .
وقد وقع الوثيقة نيقولاى بونجورنى
رئيس مكتب رئاسة السوفيت الأعلى
لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية
السوفيتية وأنور السادات رئيس
الجمهورية العربية المتحدة .

باسم الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة نعلن
هنا أن بناء سد أسوان العالى قد أنجز بنجاح فى الموعد المحدد
له . لقد كانت ثورة سنة ١٩٥٢ المجيدة — التى مكنت
الشعب المصرى من القضاء على الاستعمار وتطوير مقدراته
الخلاقة من أجل التقدم والرفاهية — شرطا هاما من أجل هذا
المشروع العظيم . أن الأتمام الناجح لبناء سد أسوان العالى
انتصار عظيم للشعب المصرى يكشف عن تصميمه الحازم على
السير فى طريق التقدم الاجتماعى والاقتصادى ، الطريق الذى
رسمه ابن مصر الزعيم الخالد جمال عبد الناصر .

ويمثل هذا البناء العملاق انجازا عظيما سوف يحفظه
التاريخ الى الابد تخليدا لذكرى القائد الخالد جمال عبد الناصر
.. وسيظل يحمل اسمه على الدوام .

لقد مد الشعب السوفيتى يد الصداقة للشعب المصرى
وقدم له المساعدة الأخوية دون أية شروط من أى نوع - سواء
أكانت سياسية أو غيرها - فى انجاز مشروع القوى المائية
فى أسوان . لقد فعل الشعب السوفيتى ذلك مهتديا بالمبادئ
اللينينية عن التعاون الودى فى جميع المجالات مع الشعوب
المكافحة ضد الامبريالية والاستعمار ، من أجل حريتها
واستقلالها وتطبيقا للاتفاقيتين اللتين وقعتا فى القاهرة فى
٢٧ ديسمبر ١٩٥٨ ، وفى موسكو ٢٧ أغسطس ١٩٦٠ ، قدم
الاتحاد السوفيتى للجمهورية العربية المتحدة المساعدة
والقروض اللازمة من أجل بناء السد العالى المهيىب على نهر
النيل .

أن محطة القوى المائية فى أسوان فريدة فى نوعها ليس
فقط بسبب تصميمها الفنى وإنما أيضا بسبب مدى وحجم
العمل الذى جرى تنفيذه . ويقدم هذا البناء صيحة جديدة فى
التصميمات العالية للمشروعات المائية ، وانجازا رائعا للفكر
التكنولوجى السوفيتى ، ونجاحا للعلم والتكنولوجيا
السوفيتيين ، وهو نتيجة للتعاون الخلاق المثمر بين العلماء
والمهندسين والعمال السوفيت والمصريين ، ولقد كان هذا البناء
الجليل حافزا على تدريب عشرات الالوف من المصريين الذين
أصبحوا فنيين على درجة عالية من المهارة .

لقد كان بناء سد أسوان العالى مساهمة عظيمة فى تطور
الاقتصاد القومى للجمهورية العربية المتحدة . وسوف تكون
الطاقة الكهربائية المتولدة عن محطة أسوان للقوى المائية التى
تبلغ قدرتها مليونين ومائة ألف كيلو وات قاعدة صلبة لانتاج
القوى اللازمة لتصنيع البلاد وتطوير زراعتها وخلق مروع
جديدة للاقتصاد . لقد أصبحت أسوان نموذجا صادقا للعلاقات

الصحية والمكافئة بين الدول ، وبرهانا حينا على ان البلاد الفتية النامية تستطيع ان تحقق نجاحات كبرى في تدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى بالتعاون مع قوى الاشتراكية .

وفي أثناء بناء سد اسوان العالى والمشروعات المرتبطة به توثقت العلاقات الودية بين شعوب الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة .

ولسوف يظل سد اسوان العالى الى الابد رمزا للصدقة السوفيتية العربية الراسخة .

وفي هذا اليوم المجيد بالنسبة لشعب الجمهورية العربية المتحدة يقرر الجانبان ان الصداقة والتعاون وهما يتطوران بين شعوب الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة انما يضربان بجذور عميقة ويتسمان بطبيعة دائمة غير عابرة او مؤقتة . انهما يرتكزان على الأساس الصلب لوحدة النضال من أجل السلام العالمى ، وحرية الشعوب ، والتقدم .

أور الساعات
رئيس الجمهورية
العربية المتحدة

نيقولاى بونجورنى
رئيس مكتب رئاسة السوفيت
الاعلى لاتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفيتية
١٥ يناير سنة ١٩٧١

خطاب الرئيس انور السادات في المؤتمر الشعبي ياسوان

بسم الله ..

قبل أن أبدا حديثي أيها الأخوة لابد لي أن أتوجه الى الأخ
والصديق الرئيس بونجورنى باسمكم بخالص الشكر والعرفان
على قرار الحكومة السوفيتية بكهربية الريف المصرى . أن هذا
القرار يسجله شعبنا مع قرارات عرفناها في ساعة الظلام .

واليوم ونحن نبني بلدنا يمد الاتحاد السوفيتى المساعدة
ليس فقط في ساعات الظلام والشدة وانما لكى نبني بلدنا
ونثير قرانا لكى نطور مجتمعنا في ساعات الشدة وفي ساعات
الرخاء لن ننسى للاتحاد السوفيتى ابدا هذه القرارات ،
وباسمكم اقول لهم سنكون دائما الاصديق الاوفياء الاقوياء .

أيها الأخوة ..

لا يسعنى أن أبدا هذا الحديث من هذا الموقع في هذه
المناسبة الا بذكر انسان عظيم كان له الفضل الاول والاكبر في

بلوغ الهدف وتحقيق الحلم . أن جمال عبد الناصر وسد أسوان العالى كلاهما رمز عظيم ، الأول جمال عبد الناصر رمز للأمة ، والثانى : السد العالى رمز للطاقة لهذه الأمة . ولقد امتزج كلاهما بالأخر الى درجة يمكن أن نقول معها أن السد العالى يستطيع أن يحكى كل جوانب القصة الهائلة لعمل ودور جمال عبد الناصر . كما أن دور وعمل جمال عبد الناصر يمكن أن يروى القصة الهائلة لبناء السد العالى .

ومن عجب — أيها الأخوة — أن نتذكر أن جمال عبد الناصر فى آخر خطاب رسمى وشعبى له أمام جماهير أمّنا فى ٢٣ يوليو الماضى حرص على أن يبدأ ذلك الخطاب وبطريقة ملفتة للنظر الآن برسالة جاءت من وزير السد العالى يخبره فيها بأن السد العالى قد تم بناءه ، كأنه كان يريد أن يقول لنا أن الأمل تحقق ، كأنه كان يريد أن يقول لنا أن الطريق واضح .

وأن نلتقى اليوم هنا بعد رحيل القائد الخالد لنحتفل مع أعز الأصدقاء بتمام وكمال هذا البناء الانشائى الكبير ، كان هناك معانى لا يمكن أن تغيب عنه . أمامنا هنا الحياة التى ظلت احقاداً طويلة وقروناً طويلة تنتظر إرادة التغيير وكان هذا هو الحلم . أمامنا هنا سيرة البطل الذى استطاع أن يحمل فى صدره آمال أمته المكبوتة ثم يفجرها فى دعوة للثورة . أمامنا هنا انجاز عظيم قام به شعب أصيل ولم يكن هناك غير شعب أصيل يتحمل مثل هذه المسئولية الكبرى شعب أصيل حافظ على آماله عبر العصور . ثم استجاب لقيادته الوطنية فى لحظة حاسمة من تاريخ النضال يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . باختصار أمامنا هنا — أيها الأخوة — الحلم ، والقائد ، والعمل ،

أو بشكل آخر: أماننا هنا — أيها الأخوة — المبدأ والثورة والشعب .

وهناك معانى أخرى — أيها الأخوة — نستشعرها فى هذه اللحظة الجيدة . أن نحتفل بتمام وكمال بناء السد العالى فى غياب بطله فذلك معنى الاستمرار . وأن نحتفل بتمام وكمال بناء السد العالى وسط جو المعركة فذلك معنى الإصرار . وأن نحتفل بتمام وكمال السد العالى وسط أخص الأصدقاء ، فذلك معنى أننا لسنا وحدنا فى المعركة . وإنما معنا كل قوى الخير والمحبة والحرية والسلام فى هذا العالم .

أيها الأخوة الأصقاء :

من دواعى سعادتى ومن دواعى الشرف أن أقف فى هذه المناسبة أمام القائد الكبير والفعال الذى تقبى لنا الاتحاد السوفيتى وشعبه العظيمة وقيادته المتحدرة فى تشييد هذا العمل الكبير وهذا الرمز الكبير فى نفس الوقت .

أن دور الاتحاد السوفيتى فى هذا العمل العظيم لا يحتاج منى الى مقارنة بدور سواء . ولكن المكان هنا والمناسبة الآن والجو المحيط بنا والشواغل التى تلح علينا تفرض إشارة الى هذه المقارنة . كان هنا على هذه الأرض تعهد أمريكى بالمساعدة فى بناء السد العالى ولكن الذين قطعوا على أنفسهم هذا العهد كانوا هم الذين كسروه ونقضوه وتصوروا بذلك أنهم قادرون على أن يهزوا ثقة أممنا بنفسها وبإحلامها وقيادتها الثورية وآمالها فى التطور والثورة .

توجه جمال عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتى . لم يكن الاتحاد السوفيتى متعبدا بالتزام ولا بوعود ومع ذلك تقدم وتم بناء السد العالى .

ان الوعد الأمريكى المكسور لم يكن أول وعد ولا آخر ومد قطعه ثم نقضه أصحابه .. والدمع السوفيتى لنا فى بناء السد العالى لم يكن أول ولا آخر دعم قدم لنا أو بالاصح قدم تعبيرا عن آمال الحرية والسلام للشعوب المتطلعة اليهما والمتمردة على الاستغلال الاستعماري والقهر الابريالى .

ان الوعود الأمريكية المكسورة والمنقوصة فى كل ناحية لم يكف أصحابها بكسرها ونقضها فقط ولكنهم تمالأوا فيها هو أكثر من ذلك ووقفوا بالعمل موقفا معاديا لكل ما حاولوا تزيينه بالقول ..

سنة ٥٢ كان منهم وعد السلاح .. كسروه ونقضوه .. واعطوا السلاح لاسرائيل .

سنة ٥٦ كان منهم وعد المساعدة فى بناء السد العالى .. ما حدث تعرفونه جيطة .

سنة ٥٧ كان منهم وعد ترك التطور السياسى والاجتماعى يأخذ طريقه الحر فى المنطقة بحيث لا يفرض عليها ما هو مضاد لاراحتها .

فى نفس السنة كانت منهم مؤامرة محاولة غزو سوريا .. ومع ذلك ملنا وللتاريخ البعيد .. سنة ٦٧ كان منهم وعد التعهد بالمحافظة على السلامة الإقليمية لدول المنطقة .. فى نفس الوقت كان ملهم كله تأييد العدوان الاسرائيلى ومباركة لخططاته .

سنة ٦٨ كان وعدهم بالمساعدة فى تنفيذ قرار مجلس الأمن .. فى نفس السنة اعطوا لاسرائيل طائرات الفانتوم . سنة ٦٩ كان وعدهم بضرورة حل الأزمة . فى نفس السنة كان انحيائهم كاملا لاسرائيل .

سنة ٧٠ كان وعدهم الذي تمثله مقترحات روجرز ،
في نفس السنة أعطوا اسرائيل ٥٠٠ مليون دولار لكي تزداد
صلافة وكبرياء في رفض كل محاولة للسلام القائم على العدل ،
بل في هذه الأيام من سنة ٧١ نسمع رغبتهم في السلام ،
وفي نفس الوقت نجد دعمهم للعدوان والاستمرار في احتلال
أراضينا وللاهدار الكامل لحقوق شعب فلسطين .

أن وعدهم المكسور المنقوض في السد العالي حلقة في
سلسلة مستمرة بما لا يترك أمانا إلا مجالا للاعتقاد بأن
ما نحسه هو خط سياسي أمريكي مرسوم يعادى آمال الأمة
العربية ، ويهدد تطلعاتها المشروعة في تطور سلمى يبنى
للحياة ولا يستنزف نفسه في الحرب .

أن كل وعد أمريكي مكسور ومنقوض يقابله — أيها
الأخوة — وعد سوفيتى تحقق أو هو في سبيل التحقيق . في
كل المجالات أمل وعمل ، في الصناعة في استصلاح الأراضي
في مد شبكات الكهرباء . في السلاح في التدريب . في
المساندة السياسية اللامحدودة واللامشروطة لأنها واثقة من
أن موقفها شركة في الدفاع عن الحرية وفي الدفاع عن السلام .
أيها الأخوة .:

أننى أريد في هذه الفرصة ، ونحن على أبواب امتحان
حاسم في تاريخ شعبنا وأمتنا وفي مسار فضالنا وعلمنا
أيضا ، أن أخذ أمانكم موقفنا بطريقة لا تقبل الشك ولا
التأويل .

أولا : أننا نطلب السلام القائم على العدل .. ومطلبنا في
السلام حقيقى لأن أماننا كثيرا من مهام السلام تتمثل في
البناء والتعمير والتطوير لطاقت شعبنا الاقتصادية
والاجتماعية .

ثانياً : اننا لا نستطيع أن نرضى باستمرار الاحتلال لأراضينا ونحن نعتقد أن الواجب المقدس ، يل أن الحق المقدس لكل شعب وكل أمة يتمثل في الدرجة الأولى في الدفاع عن أراضيها ضد المستعمرين والغزاة مهما كانت قوتهم ومهما كان سندهم .

ثالثاً : اننا قبلنا بقرار مجلس الأمن معتقدين أنه يحوى معظم عناصر الحل العادل لازمة خطيرة في مكان خطير من العالم .

وإذا كنا نشعر بالتزاماتنا تجاه أراضينا فاننا نشعر أيضاً بالتزام أمام السلام العالمى .

رابعاً : اننا لم نذهب الى الامم المتحدة لنتوه في المناورات العقيمة ولا لنفرق في الصياغات الغامضة ولكننا ذهبنا نطلب حلاً على اساس مبادئ القانون الدولى والشرعية الدولية ولقد تعاوننا الى ابعد حد مع المجتمع الدولى ورحبنا بدور كبير للدول الأربع الكبرى باعتبار مسئوليتها الخاصة بحكم عضويتها الدائمة في مجلس الأمن ولم تكن بذلك نستوفى شكلاً وانما كنا في الحقيقة نطلب حلاً .

خامساً : ان امتنا العربية مصيبة .. ان شعبنا المصرى قادر .. ان قواتنا المسلحة تعرف واجبهما .. اننا نريد السلام اذا كانت للسلام فرصة ولكننا مطالبون أولاً واخيراً بتحرير الأرض وتحقيق الارادة الوطنية والقومية .

سادساً : ان شعب فلسطين ليس مجبوعاً من معسكرات اللاجئين ولكنه شعب له كل الحقوق الوطنية .. ان قضيتة

ليست مسألة عطف انساني ولكنها قضية وجود سياسى بكل ما يترتب على ذلك من القيم والمبادئ .

أيها الأخوة ..

أنكم قد سمعتم وسوف تسمعون هنا كثيرا من غيرى عن حجم السد العالى وعن مقدار الجهد الذى بذل فيه وعن الآمال الواسعة والمنجزات الكبرى التى تترتب وسوف تترتب على تمام بنائه وكماله ولكى أريد مرة أخرى وقرب ختام حديثى إليكم أن أتحدث عن الرمز فى السد العالى بعد أن سمعتم وتسمعون كثيرا عن العمل الذى تم فيه .

أن السد العالى معركة تمت واكتملت بالانتصار .. والانتصار هو انتصار الأحرار .. وانتصار الإرادة ، وانتصار للجهد العلمى المنظم .. وانتصار صداقة الحرية والسلام .

والرموز الكبرى فى حياة الأمة ليست حادثة تقع وتنسى وإنما الرموز الكبرى فى حياة الأمم إشارة الى طلائع مستمرة .

إننا اليوم نعلن انتصارنا فى معركة .. وغدا نحن على أبواب تحد آخر .. ولكن الإصرار هو نفس الإصرار .. والإرادة هى نفس الإرادة .. والجهد العلمى المنظم هو نفس الجهد العلمى المنظم .. وصداقة الحرية والسلام هى نفسها صداقة الحرية والسلام .

إننى أريد هنا أيها الأخوة أن أحيى مرة أخرى ذكرى القائد الذى رحل وفى نفس الوقت أحيى جهد شعبه الباقى الى الأبد .

اننى اريد ان احبى مرة أخرى تيممة القصداتة العربية
السوفيتية ممثلة فى الصديق نيكولاى بوجورنى .. وفى
نفس الوقت احبى أصالة هذه الصداقة العربية السوفيتية
وأستمرارها واحبى مرة أخرى عمق مشاعرنا تجاه أخوة لنا
وأصدقاء أخص منهم بالذكر الذين شاركونا هنا من السودان
وليبيا والصومال وكل رؤساء الوفود الذين يلتقون معنا اليوم
ذاكرا بالصدق محبتهم لنا وتأييدهم أيضا .

كما اننى لابد لى ان اشد بالجهد المشترك للعمال والمهندسين
العرب والسوفييت ذاكرا ان الاصدقاء العرب والسوفييت
مازالوا امامهم منجزات أخرى .

اننى اريد ان احبى مرة أخرى الصداقة العربية السوفيتية
العظيمة مجددا ومؤكدا انها شركة فى الكفاح من أجل الحرية
والسلام وضد الاستعمار والعدوان .. صداقة النضال ..
صداقة الكفاح من أجل انتصار الحق .

واليوم — وكما قلت لكم — ونحن نحقق بانتصار استطعنا
أن نحققه لآبد أن نتقنر يعون الله سبحانه وتعالى وتوفيقه
ومشيئته أنتصارا آخر ليس هناك بديل من تحقيقه .

وفتكم الله والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر من موقع السد العالي

اناء الاحتفال بتحويل مجرى النيل

في ١٤ مايو سنة ١٩٦٤

أيها الضيوف .. أيها المواطنون .. في هذه اللحظة الحاسمة والمجيدة من لحظات النضال والانتصار أريد أن أبدأ بالتحية الى كل أبطالنا الذين شاركوا في الإرادة المصرية لتعيد بناء مصر من جديد بالعمل وبالكرامة .

الى الرجال الذين وقفوا في مطلع القرن التاسع عشر يرمعون رؤسهم ضد استبداد الامبراطورية العثمانية ويتخذون ظلم المالك وطفيتهم .

الى الرجال الذين اقتحموا طاقات اولى للفكر الثوري المصري وامانوا اتصاله بمجري الحضارة العالمية في منتصف القرن التاسع عشر .

الى الرجال الذين التفتوا من حول أحمد عرابي ، في اول محاولة للثورة المسلحة ضد اسرة محمد علي ، وضد مؤامرات الدول الاستعمارية الكبرى . وضحو بالنبلاء في معارك الاسكندرية والتل الكبير .

الى الرجال .. والنساء .. الذين تحملوا مسؤولية الثورة
الشعبية سنة ١٩١٩ ، وكانوا وقودها .. وكانوا ضحاياها ،
وتلقت صدورهم رصاص الاستعمار من الأمام ، ثم وجدوا
الرجعية تسرق منهم ثورتهم وتزداد ثراء على حسابهم بها !

الى الشباب .. الذين سقطوا في انتفاضة سنة ١٩٣٥ وهم
يتنادون بالدستور والديمقراطية واذا بالرجعية الحاكمة تطعنهم
بتوقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ .

الى زهرة شباب مصر الذين جادوا بالدم على أرض
فلسطين الحبيبة في محاولة يائسة لعرقلة قضية المؤامرة
الكبرى ضد الأمة العربية لاقامة اسرائيل وسطها قاعدة
للاستعمار ونقطة ارتكاز وتهديد .

الى الرجال الذين خرجوا في تصميم مجز يوم ٢٢ يوليو
يغيرون مجرى التاريخ في بلادهم على اضاء الصباح الأولى ..
يدفعون رؤوسهم ثمنا لتصميمهم يفجرون الثورة ويسجلون في
التاريخ أن الجيل المعاصر من شباب مصر ، رفض أن يستسلم
وتتهدى على الخضوع .

الى الرجال .. والنساء .. والأطفال الذين صنعوا معجزة
المقاومة ضد العدوان الثلاثي ، في منطقة قناة السويس ، وفي
معارك سيناء ، وبورسعيد ، وفي المدن التي تعرضت
للفارات ليل نهار .

الى الجنود البواسل الذين قاتلوا دفاعا عن ثورة الشعب
العربي في اليمن والذين تحركوا انتصارا للثورة للشعب العربي
في الجزائر .

الى الجواهر الصابرة ، التى تحلت معارك الحرب النفسية
والحصار الاقتصادي ، ودفعت التكاليف الباهظة لعمليات
التطوير والبناء .

الى الطلائع العاملة من فلاحي مصر وعمالها وعلمائها
ومثقفها الذين اداروا قناة السويس بعد تأميمها .. وانشأوا
الصناعات الكبرى وتحملوا مسئوليات ادارتها .. واضاعوا
بحاستهم ونكرهم طريق المستقبل الجديد وضاعفوا الانتاج مرة
ويضاعفونه الآن مرة اخرى .

الى هؤلاء جميعا (قبل اى حديث) تحية النضال والانتصار .

يا رجال مصر . يا رجال مصر . ويانسائها واطفالها ، هنا
أمام الدنيا كلها ، رمز حى لارائكم وتصميمكم ومقدرتكم على
العمل وعلى الفداء .

هنا بهذا. السد العالى تذكرا انتصاركم على كل اعتداء ،
وعلى كل الصعوبات .

هنا صورة رائعة لاحلامكم ، صنعها العمل الذى يحرك
الجبال ، ويخضع الطبيعة لارادة الانسان مهما دفع من الدم
والعرق ، ليؤكد سيطرة الانسان بروح ربه وهداه ، على الحياة
لتكون شرفا له وليكون شرفا لها .

ايها الاصحاء . ايها المواطنون .. ليست هناك بقعة من
الارض تصور المعركة العظيمة للانسان العربى المعاصر ، فى
أبعادها الشاملة ، كهذا الموقع الذى نقف امامه على سد أسوان
العالى .

هنا تخطت المعارك السياسية والاجتماعية والقومية
والعسكرية للشعب المصرى .. وتمتزج كأنها كتل الأحجار

الضخمة ، التى تسد مجرى النيل القديم وتخترق مياهه فى
كبير بحيرة صنعها الانسان لتكون مصدرا دائما للرياء .

ان فلاح مصر قضى قرون الزمان الطويلة يحلم بالأرض ،
والأرض — تحاصرهما الصحراء من كل ناحية ، والأرض ينهبها
الاقطاع ، وثروة مصر لم تكن موجهة الى تطوير معظم مصر ،
وانما كانت كلها تنسرب الى جيوب كبار الرأسماليين المستغلين ،
ومعظمهم من الأجانب ، يسترون وراء قلعة قشرة رقيقة من
المصريين .

وصناعة مصر ، لا تتحرك لخدمة الجماهير ، وانما تخدم
الطبقات المالكة ، وتفرض الثمن كله ضريبة على الطبقات
العاملة ، وناتج العمل الوطنى ، لا يترك بعد النهب المنظم
والاستغلال فائضا يكفى ، لخدمات التعليم والصحة والمواصلات
فضلا عن خدمات التأمينات الاجتماعية .

وحين أخذت الارادة الثورية المصرية على عاتقها تنفيذ
مشروع السد العالى ضمن الخطة الثورية الكاملة للتطوير . كان
ذلك كله فى ضميرها ووجدانها . كان الطريق الى تخلص الأرض
المصرية من سيطرة الاقطاع وكان فى أملها ان يخلصها من سيطرة
الصحراء وتضيف اليها ما يقرب من نصف مساحتها القديمة .
كانت تقيم الصناعات وتبنى محطات الكهرباء وكان أملها فى
كهرباء السد العالى أن تضاعف مرة واحدة بعمل واحد ، كل
طاقة الكهرباء فى مصر ، ما كان موجودا منها قبل الثورة ، وما
أضيف اليها بعد الثورة ولقد وقف فى طريقها كل الذين
كانت ترتبط مصالحهم بالأوضاع القديمة البالية ، وقتت
الرجعية ضدها للتشكيك فى المشروع ، ثم فى قدرة الشعب
المصرى على تنفيذ المشروع .. ثم وقت الاستعمار ضدها ،

بكل الوسائل ، لا يريد لسد أسوان العالى أن يرتفع من قيمته
المادية كعمل وبكل قيمته المعنوية كرمز .

ولقد حاولت قوى السيطرة والاستعمار ، وناورت ، تقدمت
للمساهمة فى المشروع لتركز على مساهمتها الآمال والخطط ،
ثم تتخلى بعد ذلك فجأة ، فتنهار الآمال والخطط ، وكلن التدبير
أن تنهار الثورة .

أيها الضيوف .. أيها المواطنون .. ان الشعب المصرى
ماشى أروع لحظاته وتحدى كل هذه التقديرات الخائبة فى الوقت
الذى أنتظروا فيه أنهيار الآمال والخطط والثورة ، وتراجعها
جميعا أمام المفاجأة الغادرة ، قفز الشعب المصرى الى الأمام
وضرب ضربه الخالدة ، لتأبى قناة السويس بينى بخطها
السد العالى بأسوان .

ولم تكن تلك هى المفاجأة الغادرة الأخيرة، فلم تمضِ الا شهور
قليلة حتى أقبلت أساطيل الغزو وجيوشه ، تريد أن تقتحم
شواطئ مصر وأجوائها لتحطم الإرادة الثورية المصرية التى
اثبتت أنها أقوى من جميع أعدائها ، كانت فى وقتها العظيمة
تمثل الحياة ، وكان أعداؤها هم أعداء الحياة .

ان الإرادة الثورية المصرية ، حركت أصلب حوافز المقاومة
المصرية ضد العدو وحركت قوى الأمة العربية ، وهزت ضمير
العالم وقوى السلام فى الكرة الأرضية بأسرها وتمكن ذلك
كله من رد العدوان وقهره ، وتحطيم آماله وخططه وبقيت
الآمال والخطط المصرية حية على الأرض المصرية تناضل ببسالة
لكى تحقق ذاتها .

أيها الضيوف .. أيها المواطنون .. عندما أصل الى هذا

الحد لأبد من أن أشير بالتحية الى موقف الاتحاد السوفييتى ، فى مناصرة مصر وتأييدها بالفعل والعمل ، أن الاتحاد السوفييتى وقف مع مقاومتها ضد الغزو والعدوان ولم يكتف بذلك ، وانما مد تأييده بعدها ، الى آمالنا وخططنا فى بناء السد العالى وقدم لنا القروض والخبرة الفنية اللازمة لمساعدتنا فى السد العالى بمرحلته .

، أن الاتحاد السوفييتى وقع معنا اتفاقيتين لقرضين ، قيمتهما معا ، مائة مليون جنيه ، ثلثها للمرحلة الاولى التى تم تنفيذها اليوم ، والثلثان للمرحلة الثانية التى بدأ تنفيذ بعض أعمالها بالفعل مع أعمال المرحلة الاولى . ليتم السد كله بمرحلته سنة ١٩٦٨ محققا كل نتائج من الأرض الجديدة ، ومن طاقة الكهرباء ومن عملية التطوير الضخمة والعميقة التى تترتب عليها إبعادها الاقتصادية والاجتماعية .

لم تكن المسألة مسألة اتفاقيات ولكن روح تنفيذ الاتفاقيات كانت أهم من نصوصها أن سنوات طويلة من العمل المشترك قد أقامت صرحا للصدقة العربية السوفيتية لا يقل عن صرح السد العالى قيمة ولا رمزا أن الأخوة العمال والمهندسين العرب والسوفييت ملائمة فى كل تفاصيل هذا العمل الذى هو بغير جدال من أضخم الأعمال الإنسانية فى عصرنا الحديث وأشهرها على الإطلاق وأبعدها صنفا فى الدور الذى لعبه فى تاريخ العالم الحديث .

لقد كان السد العالى هو محور معركة السويس العظيمة التى كانت أبرز نقاط التحول فى المجال الدولى منذ الحرب العالمية الثانية وبداية لانطلاق حركة التحرير الوطنية الهائلة فى أفريقيا .

أيها الصديق العزيز نيكيتا خروشوف .. انى أوجه اليك هذه الفترة من خطابى وأريد أن تسمعها معك شعوب الاتحاد السوفييتى ، بل أنه يهمنى أن تسمعها الدنيا كلها معكم من هنا .

أن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الإطلاق ومهما طال الزمن الجهد الذى بذلته شخصيا فى عملية بناء السد العالى .. لقد توليت بنفسك أكثر من مرحلة من مراحل الاتفاق على اقامته وكانت حماسك له دائما قوة لها اثرها بغير جدال فيما تراه من حدث الآن .

أن شعب الجمهورية العربية لن ينسى على الإطلاق ومهما طال الزمن التعاون الودى الذى قدمته حكومة الاتحاد السوفييتى فى مراحل الاتفاق والتففيذ .

أن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الإطلاق ومهما طال الزمن العمل الخلاق الذى قام به المهندسون والعمال السوفييت فى معاهدة الدراسة والأبحاث فى الاتحاد السوفييتى وفى المصانع السوفييتية التى كلفت بتنفيذ الآلات اللازمة للبناء .

أن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الإطلاق ومهما طال الزمن روح النضال والمثابرة والصبر التى أبداه المهندسون والعمال السوفييت الذين شاركونا هنا على الموقع مع أخوتهم من المصريين فى عملية البناء .

إن هؤلاء الرجال أدوا عملا باهرا فى ظروف طبيعية تختلف . عملا الفوا .. كذلك فإن زوجاتهم وأطفالهم الذين صحبوهم الى هنا فى أسوان وعاشوا معهم معلمهم وظروف هذا العمل هم شركاء للرجال العاملين بالحق فى تقديرنا .

انكم جميعا ايها الصديق العزيز كنتم معنا في أعز احلامنا..
وكنتم معنا في أكبر جهد ماهر صنعه نضالنا من أجل تطوير
الحياة انكم بهذا الموقف اقمتم على ارض العرب .. وعلى ارض
افريقيا جسر للصدقة بين الشعوب والقارات واكنتم تضامن
الثورات الاصيله المكافحة كلها من أجل حياة افضل لجماهير
الشعب .

يا بناء السد العالي في هذه المناسبة .. باسم شعب
الجمهورية العربية المتحدة اتقدم اليكم بالشكر والعرفان على
انعمل الكبير الذي اقمتموه .

يا بناء السد العالي .. باسم شعب الجمهورية المتحدة
اتقدم بالشكر والعرفان الى وزير السد العالي محمد صدقي
سليمان .. على ما بذله .. وعلى المثل الأعلى الذي ضربه فنفذ
السد العالي في اوقاته المحددة .. وكانت صحف الاستعمار تقول
ان السد العالي يتعثر في الطريق .

يا بناء السد العالي.. باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة
المتحدة اتقدم بالشكر والعرفان الى السيد الكسندروف الخبير
المسوفييتي .. الذي عمل بشرف واخلاص حتى تحقق هذا العمل
الكبير .

يا بناء السد العالي .. باسم شعب الجمهورية العربية
المتحدة اتقدم بالشكر والعرفان الى كل فرد فيكم لأنه أدى واجبه
أمام الله وأمام الوطن وأمام الضمير .

ايها الاصدقاء .. ايها المواطنين .. تحت الظلام الذي
غرضته الغارات أثناء معركة السويس . وفي الخنادق ووسط

المعارك العسكرية والاقتصادية والنفسية كانت أغنية الرجال والنساء والأطفال من أبناء مصر بأنهم سوف يبنون السد .

• يارجال مصر ونساءها وأطفالها ..

لقد تحققت المعجزة وبنيت السد أن الله منحكم الشجاعة على الصمود ومنحكم القدرة على العمل . أننا الآن ننظر الى المعجزة أمامنا ونقول كما قلنا دائما بعد كل انتصار الحمد لله .

أيها المواطنون .. باسمكم أتوجه الى الرئيس أحمد بن بيللا .. الذى سينضم إلينا بعد ظهر اليوم لمشاركتنا فى المناسبة العززية علينا والعزيزة على العرب أجمعين .. وأرجو لشعب الجزائر الشقيق كل تقدم وكل نجاح .

أيها المواطنون ..

سيروا على بركة الله والله الموفق والسلام عليكم .

بيانات عن السد العالي

- ✱ بدأ تنفيذ المشروع في ٩ يناير ١٩٦٠ .
- ✱ انتهت مرحلته الأولى في منتصف مايو ١٩٦٤ بتحويل مياه النهر الى قناة التحويل .
- ✱ في منتصف أكتوبر ١٩٦٧ ارتفع جسم السد الى منسوب ١٧٢ مترا ، وانطلقت الشرارة الأولى من محطة كهرواء السد العالي .
- ✱ في منتصف يوليو ١٩٧٠ اكتمل المشروع .

البيانات الفنية :

السد العالي بفاء عملاق من رغام الجرانيت والرمال والطمي ، متوسطه راة صماء من الطين الاسواني ، لتصل في الامام بستارة أفقية قاطعة للبياء ، هو سد يقفل مجرى النيل على مسرة نحو ٧ كيلومتر الى الجنوب من سد بوان القديم ويحول المياه الى مجرى جديد عبارة عن قناة مكشوفة لتوسطها ستة افاق متصلة في نهايتها بمحطة كهرواء ، مزودة بانثلي عشرة وحدة . وتكون لياه المحجوزة امام السد العالي بحيرة شاسعة مبيضة ، تبلغ سعتها ١٦٤ يار من الامتار المكعبة ، منها ٣٠ مليار لاستيعاب الطمي يعد استنزار رسوبه نة قرون ، و ٣٧ مليار لواجهة الفيضانات العالية و ١٧ مليار تمثل السعة

الحيّة للخران التي تضمن تصرفا سنويا ثابتا مقداره ٨٤ مليار من الامتار المكعبة
يفص مصر منها ٥٥٥ مليار ، ويفص السودان ١٨٥ مليار ، والباقي وقدره
١٠ مليارات يقدر ان يفقد من حوض الخزان بالتبخر والتسرب .

*** السد :

عرض مجرى النهر عند موقع السد	٥٢٠ مترا
طول السد عند القمة	٢٨٢٠ مترا
اقصى ارتفاع للسد	١١١ مترا
عرض قاعدة السد	٩٨٠ مترا
عرض الطريق فوق السد	٤٠ مترا

*** البحيرة :

طول البحيرة	٥٠٠ كيلو متر
متوسط عرض البحيرة	١١٨٨ كيلو متر
مساحة سطح البحيرة	٥٩٠٠ كيلو متر مربع
اقصى سعة للتخزين في البحيرة	١٦٤ مليار متر مكعب

*** مجرى التحويل :

الطول الكلى لمجرى التحويل	١٩٥٠ مترا
طول القناة الامامية المكشوفة	١١٥٠ مترا
طول الاتفاق شاملا محطة توليد الكهرباء	٣١٥ مترا
طول القناة الخلفية المكشوفة	٤٨٥ مترا
طول النفق	٢٨٢ مترا
عدد الاتفاق	٦ اتفاق
اقصى تصرف يمكن تمريره بمجرى التحويل	١١٠٠٠ م ^٣ /ث
القطر الداخلى للنفق	١٥ مترا

**** محطة توليد الكهرباء :**

٢١ مليون كيلوات	مجموعة القوة المركبة
١٢	عدد الوحدات الكهربائية
١٧٥٠٠ كيلوات	قوة كل وحدة
٥٧٥ متر	الضغوط التصممي

**** المزايا الاقتصادية :**

المعروف ان مشروع السد العالي يمد من المشروعات الفضة ذات الافتراض المتعددة ، فهو لا يوفر الماء للتنمية الزراعية فحسب ، ولا يوفر الطاقة الكهربائية للتنمية الصناعية فحسب ، ولكنه بالإضافة الى ذلك يحمي البلاد من كوارث الفيضانات لو دهبها فيضان كفيضان عام ١٨٧٨ ، أو كوارث الجفاف لو دهبها صيف كصيف عام ١٩١٤ . وفيما بين الذروة الشاذة في الارتفاع والشاذة في النسوب تأتي فيضانات لا تقوى البلاد على مجابهتها لولا وجود السد العالي .

ويمكن أن نجعل مزايا السد العالي فيما يلي :

✱ التوسع الزراعي الفيا في مساحات جديدة جعلتها نحو ١٢ مليون فدان .

✱ تحويل اراضي الهياض بالوجه القبلى الى نظام الري الدائم في مساحات جعلتها نحو ٩٧٣٥٠٠ فدان .

✱ ضمان احتياجات الري لجميع الأراضي المزروعة في كافة السنين مهما قل الإيراد الطبيعي للتهر .

✱ ضمان التوسع في زراعة الأرز كل عام .

✱ وقاية البلاد وقاية كاملة من أخطار الفيضانات العالية أو المنخفضة

✱ تصعين الصرف في الأراضي الزراعية .

✱ توليد طاقة كهربائية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلوات ساعة في السنة

✱ تصعين اقتصاديات محطة كهرباء سد أسوان .

المصادر

SUEZ : The Twice Fought War : KENNETT LOVE

محمد حسين هيكل

(٢) عبد الناصر والعالم

ايان كوزين

(٣) بناء السد العالي

(٤) مشروع السد العالي بين شخلة عوانده .. وشكوى اعدائه -

المهندس محمد عبد الرقيب وزير الري

كمال التللي

(٥) آسمان السد العالي

وعوف مسعد

صنع الله ابراهيم

محمد عودة

(٦) ميلاد ثورة

(٧) تقرير للمهندس على فتحى عن الآثار الجانبية للسد ، ومناقشات

بين كل من المهندسين على فتحى ويوسف سمكة وبين جمال الشراوى المحرر
بالاخبار القاهرية ، ١

فهرس

صفحة

٩	مقدمة
٢٧	خوفو وعبد الناصر
٤١	الوعد والنكوص
٦٣	السد والحقيقة
٨١	الجملة مستمرة
١١٤	ملحق

كتاب الاهالى

تليل المواطن لمشاكل الوطن وهموم الأمن وفكر العصر

صدر منها :

- ١ — مستقبل الديمقراطية في مصر — خالد محي الدين
٥٠ قرشا
- ٢ — الأسس القرآنية للتقدم — د. محمد أحمد خلف الله
٥٠ قرشا
- ٣ — في اصلاح ما افسده الانفتاح — د. ابراهيم العيسوى
جنية واحد
- ٤ — محنة التعليم في مصر — د. سعيد اسماعيل على
٧٥ قرشا
- ٥ — دعم الاغنياء ودعم الفقراء — تقرير التجمع عن مشكلة الدعم
٥٠ قرشا
- ٦ — هل نهزم السد العالى — فليب جلاب
٥٠ قرشا

تطلب الاعداد السابقة من : مقر الاهالى (٢٣ شارع عبد الخالق ثروت شقة ١٨ — القاهرة) . المقر المركزى للتجمع (١ شارع كريم الدولة متفرع من ميدان طلعت حرب بالقاهرة) . دار الثقافة الجديدة (٣٢ شارع صبرى أبو علم) . مكتبة مديولى (٨ ميدان طلعت حرب)

كتاب الاهالى

العدد السابع

يصدر فى يونيو ١٩٨٥

محاكمة ريجان

مجموعة دراسات وابحاث اعدھا فريق من المتخصصين

فى السياسة الدولية ونوقشت فى ندوة عالمية

حاكمت سياسة امريكا الدولية منذ عام ١٩٧٧

ترجمة وتقديم : بيومى قنديل

مراجعة وتعليق : محمد سيد احمد

أدب ونقد

* مجلة أدبية يصدرها

حزب التجمع في منتصف كل

شهر

* خلاصة ادب العالم .. وفكره ..

وثمار الإبداع المصرى والعالمى

رئيس التحرير : د. الطاهر مكي

مدير التحرير : فريدة النقاش

ثمن العدد : ٥٠ قرشا

الاهـالى

جريدة كل الوطنين

صحافة الموقف الواضح .. والشجاع

تصدر كل اربعاء

١٢ صفحة — ١٠ قروش

رئيس مجلس الإدارة : خالد محي الدين

رئيس التحرير : حسين عبد الرازق

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٤/٥/١٤

مطبعة اخوان مورافنلى
١٩ شارع محمد رياض — عابدين
تليفون : ٩٠٤٠٩٦



ظل المصريون والعرب أكثر من عشر سنوات ، يقرأون في الصحف ويسمعون في المنتديات ، أن كل كوارث مصر سببها السد العالي ، فهو الذى رفع ملوحة التربة ، وتسبب في نحر مجرى النيل ، وقلل من نسبة الطمي الذى يخصب الأرض ، وقضى - للأسف - على السردين والجبىرى !!

وخلال تلك السنوات ، بدأ السد العالي ، هو المتهم الرئيسى الذى لو قبض عليه ، لتمتعت مصر برفاء ، لم يسبق له مثيل ، ولو أعدم لأزداد الانتاج ، وانتشر العدل ، وعم الأمن والحسنة أرجاء الوادى الخصيب !

وفجأة ، وبعد عشر سنوات ، اكتشف الذين قالوا هذا الكلام ، أن السد العالي قد حسم مصر من الجفاف والتصحر الذى انتشر في أفريقيا ، وأن المياها المخزونة خلفه ، وإن كانت قد ضلت على الأرض ببعض الطمي ، فقد أغاثتها من أن تنزل عطشى بلا طمي ولا ماء !

وهذا الكتاب ، يروى قصة الحملة على السد العالي ، ويناقش كل ما وجه اليه من اتهامات ، ويفسر الأهداف الخفية التى كانت تحرض على هدم السد العالي .

ومؤلف الكتاب فليپ جلاب ، صحفى وكاتب ، درس في كلية الحقوق ، وعمل بالصحافة منذ عام ١٩٥٦ ، ونشرت تحقيقاته ومقالاته في صحف المساء والجمهورية والأخبار وآخر ساعة وروزاليوسف ، وهو عضو حزب التجمع ومجلس تحرير الاهالى ومجلس نقابة الصحفيين . صدر له كتاب « دبوس في ثيشى الماضى والحاضر » .